

الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين

سماحة آية الله العظمى الشيخ
ناصر مكارم الشيرازى

تعريب: عبدالرحيم الحمراي

مكارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -
 الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين / ناصر مكارم شیرازی؛ تعريب
 عبدالرحيم الحمراي. -- قم: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، ۱۳۸۲.
 ۱۷۶ ص. ISBN 964-6632-98-x
 فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
 عنوان اصلی: زهراء عليها السلام برترین بانوی جهان.
 عربی.
 کتابنامه: به صورت زیرنویس.
 ۱. فاطمه زهراء عليها السلام، ۸؟ قبل از هجرت -- ۱۱ ق. الف. حمراي،
 عبدالرحيم، مترجم. ب. عنوان.
 ۲۹۷/۹۷۳ BP ۲۷/۲/م ۷۹۰۴۳
 ۱۳۸۲
 کتابخانه ملی ایران
 ۱۷۵۰۸ - ۸۲م

هوية الكتاب

- اسم الكتاب: الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين
- المؤلف: آية الله العظمى مكارم الشيرازي
- الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام
- تعريب: عبدالرحيم الحمراي
- الطبعة: الأولى / ۱۴۲۴ هـ
- الكمية: ۳۰۰۰ نسخة
- حجم و عدد الصفحات: ۱۷۶/رقعی
- التوزيع: نسل جوان للطباعة و النشر، قم، شارع الشهداء
- تلفكس: ۷۷۳۲۴۷۸
- المطبعة: اميرالمؤمنين عليه السلام
- السعر: ۷۰۰ تومان

شابک: ۹۶۹-۶۶۳۲-۹۸-x ISBN : 969-6632-98-x

المقدمة

قال رسول الله ﷺ: «كانت مريم سيدة نساء زمانها، أمّا ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الاولين الاخرين».

* * *

شهدت المرأة معاناة قاسية جمّة على مدى التاريخ، وكانت رقيقة في جسدها مقارنة بالرجل، فقد أثر هذا الامر سلباً على الظلمة والطواغيت الذين سعوا جاهدين على مر العصور لهضم حقها وتجريدها من إنسانيتها، وما ابشع من جرائم إرتكبوها بهذا الشأن، ولا سيما في شبه الجزيرة العربية وإبان العصر الجاهلي - رغم أن الدنيا برمتها كانت آنذاك تسبح في بحر من الجاهلية - حيث كانوا أشد وطأة على المرأة وأعظم لثلمها شخصيتها. حتى بلغ بهم الأمر أن جعلوها سلعة تباع و تشتري؛ لم يورثوها الرجال (فهي لا تحمل السلاح وتحمي البيضة)، كما كانوا يعدون ولادة البنت عاراً، ولذلك - كما يشير القرآن - كانوا يعمدون لوأدها - بل الادهي من ذلك أنهم ولوا ظهورهم حتى لا بسط القوانين الطبيعية: فصار شاعرهم يقول:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

وهذا ما يمثل الجو الفكري الذي كان سائدا لديهم آنذاك. وهنا كان للإسلام الذي حمل راية القيم الالهية والانسانية موقفه الحازم إزاء هذا التفكير الجاهلي المقيت لتثور ثائرته من أجل إستعادة المرأة لشخصيتها المفقودة؛ فاعتمد أسلوب الوعظ والتوصية والارشاد إلى جانب تشريع القوانين التي تكفل للمرأة حقوقها فسخ المجال أمامها لتمارس دورها في كافة الميادين، وبالتالي الوقوف بحزم بوجه كل من تسول له نفسه التمرد على هذه الحقائق.

فقد ورد في الاخبار: أن أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب عادت معه من الحبشة وانطلقت لزيارة أزواج النبي ﷺ فكان مما سألت: هل جاء شيء من القرآن بحق النساء؟ فأجبن بعدم العلم بهذا الأمر! فقصدت رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، هل خلقت النساء للعذاب؟ (لعلها كانت مصيبة في طرحها مثل هذا السؤال على النبي ﷺ فهي حديثه العهد بالوحي والرسالة، وربما كانت تظن بان المبادئ التي كانت تحكم المجتمع الجاهلي مازالت عالقة لحد الان).

فاجابها رسول الله ﷺ: ومم ذاك؟

قالت: لأن القرآن لم يقر لها بالفضل الذي أقره للرجال! كانت تلك الواقعة في العام الهجري الخامس وقد مرت ثمانية عشر عاماً على إنبثاق الدعوة الاسلامية، كما إستفاضت الايات القرآنية وتواترت الاحاديث النبوية التي تناولت قضية إحياء شخصية المرأة، مع ذلك و بهدف التأكيد فقد صرحت الاية الخامسة والثلاثون من سورة الاحزاب بهذا الفضل للنساء وحقيقة تأصل قيمها الانسانية التي تجعلها تشترك وأخيها الرجل في وحدة هذه الحقيقة وأنها تتمتع بمكانتها

الاجتماعية المرموقة. وهي القيم التي حصرتها الآية الشريفة في عشرة فصول، فقالت:

إن المسلمين والمسلمات.

والمؤمنين والمؤمنات

والقانتين والقانتات

والصادقين والصادقات

والصابرين والصابرات

والخاشعين والخاشعات

والمتصدقين والمتصدقات

والصائمين و الصائمات

والحافظين فروجهم والحافظات

والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

أعد الله لهم مغفرة و أجرا عظيما

وهكذا يكون الاسلام قد وضع النقاط على الحروف، وكشف النقاب عن تكافىء المرأة والرجل في سيرهما إلى الله وبلوغ السمو والكمال الانساني المشهود.

جدير بالذكر ان البعض قد أعرب عن دهشته من كيفية منح الاسلام المرأة حق المطالبة باجور الرضاعة التي تقدمها لولدها! فقد قال عز من قائل: ﴿فان أرضعن لكم فاتوهن أجورهن﴾^١. فهل هناك من امرأة يسعها المطالبة بالاجر من أجل إرضاع فلذة كبدها ولاسيما إذا كانت تعيش مع زوجها حياة زوجية مشتركة؟

١- سورة الطلاق، آية ٦.

لكن لا ينبغي أن ننسى هنا بان هذه التعاليم إنما تستند إلى منطق الاسلام الذي لا يرى ان المرأة هي إنسان ذات حقوق إنسانية، لها الحق في التصرف في أموالها وليس للرجل الحق في هضمها حقها دون رضاها وطيب خاطرها فحسب، بل أبعد من ذلك فهي تملك حتى حق المطالبة بالرضاعة. ولك - عزيزي القارئ - أن تقف على مدى تأثير هذا الأمر على تلك البيئة!

وزبدة الكلام أن المرأة مدينة بالفضل للاسلام الذي أعاد لها عزتها وكرامتها وحررها من مخالب عتاة التاريخ ومردته، شريطة أن تطبق تعاليم هذا الدين الحنيف بحذافيرها.

الولادة الميمونة لفاطمة عليها السلام

«فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمره فؤادي
وروحى التي بين جنبي وهي الحوراء
الانسية»^١

كان رسول الله ﷺ يعيش أصعب الظروف وأعقدها في العام الخامس من بعثته النبوية الشريفة، فالاسلام في عزلة خانقة والمسلمون الاوائل قلائل وتساعد حدة الضغوط، ناهيك عن أجواء الظلام التي كانت القت بظلالها على مكة إثر الشرك والوثنية والجهل والحروب القبيلية العربية وسيادة منطق القوة واستشراء الفقر والحرمان في صفوف الناس.

كان رسول الله ﷺ يتطلع إلى الغد؛ الغد المشرق الكامن وراء هذه السحب السوداء الداكنة، الغد الذي يبدو صعب المنال و ربما المحال بالالتفات إلى الاسباب والعلل الظاهرية الاعتيادية.

وهنا وقعت حادثة المعراج الكبرى التي أذن الله فيها لرسوله الاكرم ﷺ بالعروج لمشاهدة ملكوت السماء «لنريه من آياتنا»^٢ فيرى عظم آيات ربه بعينه لتتسامى روحه العظيمة، ويتأهب لتلقي ثقل

١- رياحين الشريعة، ج ٢ ص ٢١.

٢- رياحين الشريعة، ج ٢ ص ٢١.

الرسالة المصحوبة بسعة الأمل. فقد روى الفريقان - السنة والشيعة - أن رسول الله ﷺ وطأ الجنة ليلة المعراج، فناولته جبرئيل ﷺ فأكهته من شجرة طوبى، فلما عاد إلى الأرض إنعقدت نطفة فاطمة من تلك الفاكهة. ولذلك جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ان فاطمة حوراء أنسية، فكلما إشتقت إلى الجنة جعلت أقبلها»^١

وبذلك فإن هذه المولودة المباركة التي تمثل عصارة ثمار الجنة ولحم ودم رسول الله ﷺ وتلك الام الحنون السيدة خديجة الكبرى ﷺ تكون قد وضعت حدا لطعنهم و غمزهم في النبي ﷺ كونه أبتر لا عقب له. وعلى ضوء سورة «الكوثر» المباركة فإن فاطمة ﷺ هي العين الصافية التي تدفقت منها ذرية النبي ﷺ والائمة الهداة الميامين عبر القرون حتى يوم القيامة.

للحوراء الانسية تسعة أسماء يرمز كل منها لصفات و مناقب هذه السيدة الطاهرة المباركة، وهي:

١ - فاطمة

٢ - الصديقة

٣ - الطاهرة

٤ - المباركة

٥ - الزكية

١- نقل هذا الحديث باختلاف طقيف السيوطي في الدر المستور و الطبري في ذخائر العقبى و علي بن ابراهيم في تفسيره. و ان كان المعروف هو أن المعراج وقع في السنوات الاخيرة من مكة، الا أن الذي يستفاد من الروايات هو حصول المعراج لأكثر من مرة و عليه فليس هناك من منافاة في ولادة سيدة النساء في السنة الخامسة من البعثة النبوية المباركة.

٦ - الراضية

٧ - المرضية

٨ - المحذثة

٩ - الزهراء

وكفى باسمها «فاطمة» الذين يعنى البشارة الكبرى لمواليها ومحبيها، فلفظ «فاطمة» قد أخذ من مادة «فطم» بمعنى الانفصال، ومنه فطام الولد بمعنى فصله عن الرضاعة. فقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأُمير المؤمنين علي عليه السلام: أتعلم يا علي لم سميت ابنتي فاطمة؟ قال عليه السلام: لم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال عليه السلام: «ان الله عز وجل فطمها و محبيها من النار فلذلك سميت فاطمة»^١ ويتألق إسم الزهراء من بين أسمائها. و حين سئل الصادق عليه السلام: لم سميت فاطمة عليها السلام بالزهراء؟ قال عليه السلام: لأن الزهراء كانت زاهرة كالنور، فإذا وقفت في محرابها للصلوة كانت تزهر لأهل السموات كما تزهر النجوم لأهل الارض، ولهذا سميت بالزهراء. كان زواج تلك السيدة - التي كانت تحظى بشخصية مرموقة في مجتمعها - من النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم سببا لمقاطعتها من قبل نساء مكة، اللاتي قلن: إنها تزوجت من فتى فقير ويتيم فحطت من قدرها وشأنها. وقد إستمرت هذه المقاطعة حتى حملت بالزهراء عليها السلام. فلما قاربت وضع حملها بعثت خلف نساء قريش ليرافقنها في لحظات الطلق والمخاض العصيبة ولا يتركنها لوحدها. فجوبهت برد باهت قاسي: «إنك لم تسمعي مقالتنا فتزوجت من يتيم أبي

١ - ورد هذا الحديث في أغلب كتب العامة من قبيل «تأريخ بغداد» و «الصواعق المحرقة» و «كنز العمال» و «ذخائر العقبى».

طالب، فليس لنا أن نساعدك!

إِغْتَمَت خَدِيجَةُ عليها السلام لهذا الرد الباطل؛ لكن قلبها كان يطفح بنور الأمل الذي يشعرها بأن ربّها لن يتركها وحيدة. وبدأت لحظات الوضع الصعبة؛ مع غربتها ووحدتها في البيت، ولم تكن هناك خادمتها التي يمكنها الوقوف إلى جوارها أَمْلاً فتفتح عينها لترى أربعاً من النساء فينتابها القلق. فنادتها إحداهن قائلة: لا تبتسئي! فقد بعثنا ربك لنجدتك، نحن أخواتك، فأنا سارة وهذه آسية زوجة فرعون وهي رفيقتك في الجنة؛ وتلك مريم بنت عمران، أما هذه فهي كلثوم ابنة موسى بن عمران و قد جئنا لنلبي أمرك. فمكثن عندها حتى وضعت فاطمة سيدة النساء^١. ولم يكن ذلك بدعا فقد قال الحق سبحانه: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليه الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾^٢ إضافة إلى الملائكة فقد حضرته أرواح نساء العالم لنجدتها ومعاونتها. فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحمد الله وأثنى عليه، وخرست ألسن خصومه ممن نعتوه بالابتر، حيث بشره سبحانه بهذه المولودة المباركة ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شأنك هو الابتر﴾.

١- سورة فصلت، آية ٣٠.

٢- سورة فصلت، آية ٣٠.

سر حب النبي ﷺ لفاطمة ؓ

«إذا اشتقت إلى الجنة قُبِلْتُ نَحَرَ فاطمة»^١

كتب كل المؤرخين وأرباب الحديث أنّ للرسول ﷺ علاقةً عجيبةً بابنته فاطمة ؓ بديهي أن علاقة النبي الكريم ﷺ بفاطمة ؓ لم تكن علاقة الوالد بولده، رغم أنّ هذه العاطفة مكونة في وجود الرسول ﷺ، إلا أن حديثه وعبارته عن تلك العلاقة تشير إلى وجود معايير أخرى. ونكتفي هنا بالاشارة إلى بعض الروايات التي صرحت بها مصادر الفريقين.

١ - «ما كان أحد من الرجال أحب إلى رسول الله من عليّ ولا من النساء أحب إليه من فاطمة»^٢.

الطريف أن جمعاً كبيراً من أرباب الحديث قد روى هذا الحديث نقلاً عن عائشة.

٢ - عند ما نزلت الآية الشريفة:

«لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً»^٣.

لم يخاطب المسلمون الرسول ﷺ باسمه، بل أخذوا ينادونه يا رسول

١- الفضائل الخمسة، ج ٣ ص ١٢٧.

٢- نُقل مضمون هذا الحديث في العشرات من الأحاديث التي رواها أهل السنّة (إحقاق

الحق)، ج ١٠، ص ١٦٧.

٣- سورة النور، آية ٦٣.

اللَّهُ أو يا أيها النبي - تقول فاطمة عليها السلام لما نزلت الآية الشريفة هبت رسول الله أن أقول له يا أبة. فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض عني مرةً واثنين أو ثلاثاً، ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنَّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت مني و أنا منك، إنَّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر ثم أضاف هذه العبارة الروحية العجيبة قولي يا أبة فإنَّها أحيى للقلب وأرضى للرب^١.

لقد كان لصوت فاطمة عليها السلام كوقع أمواج النسيم على البراعم المتفتحة. نفس الرسول ﷺ كوقع أمواج النسيم على البراعم المتفتحة.

٣ - جاء في حديث آخر

«كان رسول الله ﷺ إذا سافر كانت آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا رجع من سفره كانت عليها أفضل الصلاة أوَّل الناس عهداً به»^٢.

٤ - نقل كثير من محدثي الشيعة والسنة حديثاً للرسول ﷺ قال فيه: «من آذاها فقد آذاني ومن أغضبها فقد أغضبني من سرها فقد سرنى ومن سائها فقد سائني»

لا شك أن حرمة الزهراء عليها السلام ورفعتها انما تعود لسمو شخصيتها وسمو مكانتها واخلاصها وعلو ايمانها وعبوديتها، ولا غرو فهي أم الائمة و زوج أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لكن الرسول ﷺ أراد أن يفهم المسلمون حقيقة أخرى ويفصح عن رأي الاسلام بشأن أمر آخر فيخلق ثورة فكرية و ثقافية في ذلك الوسط فيقول:

١ - مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٢٠.

٢ - الفضائل الخمسة، ج ٣، ص ١٣٢.

البت ليست كائنا يجب أن توأد.
أنظروا ... أني أقبل يد ابنتي، واجلسها مكاني، وأكن لها عظيم
احترامي وتقديري.
البت إنسان كسائر الناس، نعمة من نعم الخالق، وموهبة إلهية.
وأنها كأخيها الرجل في سيرها نحو الكمال والقرب الإلهي، وهكذا
أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله للمرأة شخصيتها التي تصدعت في ذلك الوسط
المظلم.

فاطمة أم ابيها

قال رسول الله ﷺ: «انَّ اول شخص يدخل علي الجنة فاطمة بنت محمد»^١

كان المسلمون يعيشون مرحلة الاعداد في مكة، في ظل ظروف قاسية للغاية. كانت بداية إنبثاق الدعوة الاسلامية، والفئة الاسلامية قليلة، بينما كانت العدة والعدد والسطوة والثروة بيد خصوم الدعوة الجفاة، وكان لهم أن يفعلوا ما شاءوا بالمسلمين. فلم يتورعوا عن أذى المسلمين، كما لم يكفوا عن الاساءة إلى النبي ﷺ والطعن في شخصه. وقد شهد ذلك العصر بروز شخصيتين على مستوى التضحية والفداء: فكانت «خديجة» من بين النساء؛ التي كانت سكن رسول الله ﷺ تواسيه بحبها وحنانها فتزيل عن قلبه الهم والغم. أما من بين الرجال فكان (ابوطالب) والد امير المؤمنين علي عليه السلام والذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع المكي، إلى جانب حكمته وحنكته العالية. فكان يقي رسول الله ﷺ ولا يتوانى في الدفاع عنه، كان درعه وعونه إزاء خصوم الدعوة. وللأسف فقد توفي هذان العظيمان في السنة العاشرة للهجرة

١- أورده «الكليني» في «الكافي» وطائفة من علماء العامة في مصادرهم من قبيل «كنز العمال» و«ميزان الاعتدال»، كما نقله آخرون.

فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله حزناً شديداً و بقي وحده في الساحة. وقد بانّت شدة حزنه بهذين الفردين - والذين كان لكل منهما دوره في إنتشار الاسلام - حين سمى ذلك العام بـ «عام الأحزان». ولكن لا يسلب الله المصطفين من عباده نعمة الافاض عليهم مثلها، فقد خَلَف كل منهما ولدا يواصل نهجهما. فكان علي بن أبي طالب عليه السلام كأبيه يقي رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، كان كذلك من انبثاق الدعوة، وهكذا سد الفراغ الذي تركه أباه بعد رحيله. بينما خَلَفَت خديجة (فاطمة) فكانت البنت الحنونة الشجاعة والمضحية التي وقفت إلى جانب أبيها تشد أزره وتشاركه همه و غمه.

كان أمير المؤمنين عليه السلام في التاسعة عشرة من عمره، بينما لم تكن فاطمة - على ضوء الروايات الصحيحة - قد تجاوزت الخامسة من عمرها. الجدير بالذكر انهما عاشا معاً في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يؤنسانه ويخففان عنه ألم الوحدة. فقد كانت السنوات الثلاث الاخيرة التي سبقت الهجرة مملوءة بالاذى والمرارة والمعاناة بسبب الجهود المضنية التي كان يبذلها أعداء الدعوة من أجل القضاء على الاسلام والمسلمين. لقد نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى إعترضه سفيه من سفهاء قريش فنشر على رأسه التراب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: لا تبكي يا بنية، فان الله مانع أباك.^١

وروى ابن عباس: أن قريشاً اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللّات والعزى ومناة لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحدٍ ولنقتلن، فدخلت

١- سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤١٦.

فاطمة عليها السلام على النبي صلى الله عليه وآله باكيةً وحكت له مقالهم، فقال: يا بنية أدني وضوئي فتوضاً وخرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا وخفضت رؤوسهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم فلم يصل رجل منهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله قبضةً من التراب فحصبهم بها و قال: شامت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر.^١

وهذا يدل على أنَّ فاطمة عليها السلام لم تكن تخدم والدها في البيت فحسب، بل و تفكر بكيفية الدفاع عنه و نجاته في خارج البيت.

حيث روي أنها كانت الوحيدة في الدفاع عنه عليها السلام عندما رمى عليه أبوجهل روث البقر، و هو صلى الله عليه وآله يصلي وأصحابه عند الكعبة. فلم يجزؤ أحد على التدخل، لكنها خرجت و أسمعت أبا جهل ما روعه عن الاستمرار في السخرية من النبي صلى الله عليه وآله.

نعم... حتى عند افتقار الجرأة في الشجعان من الرجال في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله، نرى هذه البنت الشجاعة الصغيرة تسارع في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

بعد أن انقضت فصول معركة أحد و غادر جيش العدو ساحة الوغى، كان الرسول صلى الله عليه وآله لا يزال في ميدان أحدٍ وقد كسرت رباعيته و شج جبينه، وبينما هو كذلك إذا أقبلت فاطمة عليها السلام وهي صغيرة السن من المدينة إلى أحدٍ سيراً على الأقدام، لتقوم بغسل وجهه المبارك وإزالة الدم عن محياه الشريفة، لكن الجبين لم يزل ينزف.

عندها قامت بحرق قطعة من الحصير، ثم وضعت رماده، على مكان الجرح فانقطع النزيف، والأعجب من ذلك أنها كانت تهيء لأبيها السلاح

١- المناقب، ج ١ ص ٧١.

في المعركة التي جرت في اليوم القادم.^١
 في معركة الأحزاب التي هي من أهم الغزوات الإسلامية، وفي أحداث فتح مكة عندما انتصر جنود الإسلام على آخر متراس للمشركين و السيطرة على البيت العتيق وتخليصه من الأصنام التي كانت تلوثه، نرى أيضاً فاطمة عليها السلام واقفةً إلى جانب أبيها، ففي الخندق تقبل عليه بأقراص من الخبز معدودة بعد أن بقي أياماً بدون طعام، وفي الفتح المبين نراها تضرب له خيمته وتتهيء له ماء ليستحم و يغسل، حتى يزيل عن جسده المبارك غبار الطريق، ويرتدي ثياباً نظيفة يخرج بها إلى المسجد الحرام.

١ - حدثت غزوة «حمراء الأسد» عندما عاد المشركون من وسط الطريق صوب المدينة بعد معركة «أحد» حتى يكملوا ضربتهم التي وجهوها إلى المسلمين، لكن الله أراد أن يرجعوا خائبين، لذا فقد ألقى سبحانه وتعالى الرعب في قلوبهم عندما واجهوا المسلمين حتى المجروحين منهم، فتراجعوا عن عزمهم.

فاطمة عليها السلام زوجة أمير المؤمنين علي عليه السلام

«لو لم يخلق عليٌّ لم يكن لفاطمة كفؤ»^١

الزواج الذي عقد في ملكوت السموات

كمالات فاطمة الرفيعة من ناحية وكونها بنت رسول الله ﷺ من ناحية أخرى شرف نسبها من ناحيةٍ ثالثة.

كان سبباً في سعي الكثير من كبار أصحاب الرسول ﷺ لخطبتها إلا أن الرسول ﷺ رفض تزويجها، و غالباً ما يكرر قوله:
أمرها الى ربّها!

الأعجب من ذلك خطبة «عبد الرحمن بن عوف»، ذلك الرجل الشري الذي كان ينظر الى الامور من زاوية مادية، على ضوء التقاليد و الاعراف الجاهلية، فكان يعتقد بان المهر الغالي دليل على عظم موقع المرأة و مكانتها.

فعن أنس بن مالك قال:

ورد عبدالرحمن بن عوف الزهري و عثمان بن عفان الى النبي ﷺ، فقال له عبدالرحمن يا رسول الله تزوجني فاطمة ابنتك، و قد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء زرق الأعين كلها قباطي مصر، و عشرة آلاف

١. كنوز الحقائق، ص ١٢٤.

دينار - و لم يكن من أصحاب رسول الله أيسر من عبدالرحمن و عثمان -
و قال عثمان: و أنا أبذل ذلك، و أنا أقدم من عبدالرحمن إسلاماً.
فغضب النبي صلى الله عليه وآله من مقالتهما، فتناول كفاً من الحصى فحصب به
عبدالرحمن و قال له: إنك تهول عليّ بمالك؟ فتحول الحصى درأً، فقومت
درة من تلك الدر فإذا هي تفي بكل ما يملكه عبدالرحمن.^١
بلى... يجب أن تشخص و تطبق المثل الإسلامية في زواج فاطمة عليها السلام،
و يتعرف المجتمع الإسلامي على القيم و المعايير الإسلامية السامية، و
يسحق السنن البالية من عهد الجاهلية.
وبينما كان حديث زواج فاطمة يدور على ألسن أهل المدينة، اذ ذيع
فجأة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لن يزوجها من غير علي بن أبي طالب عليه السلام.
علي بن أبي طالب عليه السلام الذي خلت يده من المال و من كل ثروة دنيوية،
و لم يكن يتحلّى بأى من الميزات التي تقيم لها الجاهلية و زناً، لكنه كان
يتمتع بايمانٍ و قيمٍ إسلاميةٍ أصليةٍ تملأ كيانه من مفرق رأسه إلى
أخمص قدميه.
و عندما تحقّق القوم علموا أنّ وحيّاً سماوياً قد أمر الرسول صلى الله عليه وآله بعقد
هذا الزواج التاريخي المبارك، اضافة الى أنه صلى الله عليه وآله قال:
«أتاني ملك فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام و يقول لك: إني قد
زوجت فاطمة أبنتك من عليّ ابن أبي طالب في الملاء الأعلى، فزوجها
منه في الأرض».^٢

١. تذكرة الخواص، ص ٣٠٦، استخرجتها من كتاب «فاطمة الزهراء بهجة و قلب
المصطفى» ص ٤٦٢.
٢. ذخائر العقبى، ص ٣١.

عندما دخل أمير المؤمنين علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ الحياء منه مأخذه، جلس بين يديه عليه السلام ولم يستطع التكلم لجلالة و هيبة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله فقال له عليه السلام:

ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: لعلك جئت تخطب فاطمة؟

فقال علي عليه السلام: نعم، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي! لقد سبقك آخرون خطبتها مني، واني كلما عرضت الامر عليها لم تظهر موافقتها، دعني أحدثها في شأنك.

صحيح أن هذا الزواج قد عُقد في السماء و يجب أن يتم، إلا أن احترام حرية المرأة في اختيار زوجها عموماً، و شخصية فاطمة عليها السلام خصوصاً تحتم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يتشاور مع فاطمة عليها السلام في هذا الامر قبل البت فيه.

بعدها ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام و قال لها: أن علي بن أبي طالب ممن قد عرفت قرابته و فضله في الاسلام، و آتي سألت ربي أن يزوجه خير خلقه و أحبههم اليه، و قد ذكر من أمرك شيئاً، فماترين؟ فسكتت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو يقول:

«الله أكبر! سكوتها اقرارها»

بعدها تم عقد القران بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

مهر فاطمة:

و الان، لنرى ما هو مهر فاطمة؟
مما لا شك فيه أن زواج أفضل رجال العالم بسيدة نساء العالم و ابنة

رسول الله صلى الله عليه وآله يجب أن يكون مثلاً رائعاً، مثلاً لكلّ العصور و الأزمنة، لذا توجه الرسول صلى الله عليه وآله الى أمير المؤمنين علي عليه السلام بالقول:

يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجه؟ فقال علي عليه السلام:

فداك أبي و أمي و الله ما يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي، درعي، و ناضحي، و ما أملك شيئاً غير هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه تجاهد به في سبيل الله و تقاتل به أعداء الله، و ناضحك تنضح به على نخلك و أهلك و تحمل عليه رحلك في سفرك، ولكّني قد زوجتك بالدرع و رضيت بها منك.^١

ونقرأ في رواية أخرى أنّ الزهراء عليها السلام طلبت من أبيها عليه السلام، أن يكون مهرها الشفاعة في المذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وآله، فنزل جبرئيل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله مخبراً بتلبية الله سبحانه و تعالى لطلب فاطمة عليها السلام.^٢

ربّما أن أغلى قيمة ذكرها التاريخ لهذا الدرع كانت خمس مائة درهم. هذا من ناحية، و من ناحية أخرى نقرأ في الحديث أنّ فاطمة عليها السلام سألت النبي صلى الله عليه وآله أن يكون صداقها الشفاعة لأمته يوم القيامة، فنزل جبرئيل عليه السلام، و معه رقعة من حرير مكتوب عليها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعاً للمذنبين من أمة أبيها.^٣

نعم، و بهذا الشكل يجب أن تحطم القيم الخاطئة، لتحلّ محلها القيم الأصيلة، و هكذا يجب أن تكون سبل و أعراف ذوي الايمان من الرجال و النساء، و على هذا النهج تكون حياة القادة الحقيقيين لعباد الله «عز وجل».

١. احقاق الحق، ج ١٠، ص ٣٥٨.

٢. أخبار الدول، ص ٨٨.

٣. احقاق الحق، ج ١٠، ص ٣٦٧.

جهاز فاطمة عليها السلام:

المهر، الجهاز، و مراسم الزفاف هي المشاكل الكبرى الثلاث التي تواجه العوائل بشأن الزواج و هي المشاكل التي تطغى أحيانا على الحياة الزوجية فتجعل الزوجين يعيشان الامرين طيلة عمرهما.

و بسبب هذه الامور الثلاثة نلاحظ أحيانا نشوء مشاجرات لفظية، و أخرى نزاعات دموية، و ما أكثر ما أضيع من الاموال في هذه المجال بسبب التظاهر و التفاخر و المنافسة الطفولية و القبيحة بين العوائل. و الموسف أن ترسبات الافكار الجاهلية ما زالت عالقة في أذهان من يدعون تمسكهم بالاسلام الحنيف.

و لكن يجب أن يكون جهاز سيدة الاسلام كما هو مهرها مثالا نموذجيا للجميع.

و كما أمر رسول الله فقد بيع الدرع بأربعمائة و سبعين درهماً، ثم جاء علي عليه السلام بالمهر الى الرسول. قسم الرسول صلى الله عليه وآله المال الى ثلاثة أقسام، حيث قبض قبضة منه و دفعه الى بلال و قال له: ابتع لفاطمة طيباً، ثم قبض بكلتا يديه مقدار من ذلك المال و دفعه الى جماعة قائلاً لهم: اشترؤا به ما يصلح فاطمة من ثياب و أثاث للبيت، و دفع مبلغاً آخراً لأُمّ أيمن لتشتري به أمتعة الى البيت.

من الواضح أن جهاز العرس الذي يهيأ بهذا القدر من المال، لا بد أن يكون بسيطاً رخيص الثمن.

و قد ذكرت كتب التاريخ أن جهاز سيدة نساء العالمين قد تكوّن من ثمانية عشر نوعاً من الحاجيات، كلّها من ذلك المال، و نذكر هنا أهمّها: قطيفة سوداء خيبرية

قميص بسبعة دراهم
 سرير مزمل بشريط
 أربع مرافق من ادم الطائف، حشوها أذخر^١
 ستر من صوف حصير هجير
 رحي يدوية
 سقاء من ادم
 مخضب من نحاس
 قعب للبن و شن للماء
 جرة خضراء... و أمثال ذلك
 نعم هكذا كان جهاز سيدة نساء العالمين.

مراسم الزفاف:

أجرى نبي الرحمة احتفالاً لهذا الزواج الذي اختاره الله سبحانه و تعالى، و لهذه العائلة التي كان لها الدور الأهم في تاريخ الاسلام، و التي انحدر منها النسل الطيب و أئمة الهدى، خلفاء الله في أرضه فأغضبت مراسم الاحتفال تلك أعداء المسلمين، و رفعت رأس الموالين عالياً، و جعلت الخصوم يفكرون بمعنى الاسلام.

حضرت كل من «أم أيمن» و «أم سلمة» و هما امرأتان ذواتا منزلة رفيعة في الاسلام كما كانتا شغفتين بفاطمة الزهراء، عند رسول الله بيت عائشة مع باقي زوجاته، فأحدقن به و قلن: فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول الله و قد اجتمعنا لأمرٍ لو أنَّ خديجة في الاحياء لقرت بذلك عينها.

١. أذخر، نبات طيب الرائحة.

قالت «أم سلمة»: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ثم قال: خديجة و أين مثل خديجة، صدقتني حين كذّبتني الناس و وازرتني على دين الله و أعانتني عليه بمالها، إنّ الله عز و جلّ أمرني أن أبشر خديجة ببيت الجنة من قصب (الزمرد) لاصخب فيه و لانصب.

قالت «أم سلمة»: فقلنا: فدينك بأبائنا و أمّهاتنا يا رسول الله أنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلّا و قد كانت كذلك غير أنّها قد مضت الى ربّها، فهنأها الله بذلك و جمع بيننا و بينها في درجات جنته و رضوانه و رحمته، يا رسول الله و هذا أخوك في الدنيا و ابن عمّك في النسب علي بن أبي طالب يجب أن تدخل عليه زوجته فاطمة، و تجمع بها شمله. فقال: يا أم سلمة فما بال علي لا يسألني ذلك؟ فقلت: يمنعه الحياء منك يا رسول الله.

قالت «أم أيمن»: فقال لي رسول الله: انطلقني الى عليّ فائتيني به فخرجت من عند رسول الله فاذا عليّ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله، فلما رأيته قال: ما وراءك يا أم أيمن، قلت: أجب رسول الله. قال: فدخلت عليه و قمن أزواجه فدخلن البيت و جلست بين يديه مطرقاً نحو الارض حياءً منه، فقال أتحبّ أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت و أنا مطرق: نعم فداك أبي و أمي، فقال: نعم و كرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد ان شاء الله، فقمتم فرحاً مسروراً و أمر أزواجه أن يزين فاطمة و يطيبنها و يفرشن لها بيتاً ليدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك.

و أخذ رسول الله من الدراهم التي سلمها الي «أم سلمة» عشرة دراهم فدفعها اليّ و قال: اشتر سمناً و تمرّاً و أقطا، فاشترت و أقبلت به الي

رسول الله، فحسر عن ذراعيه و دعا بسفرة من آدم و جعل يشدخ التمر و السمن و يخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيساً.

ثم قال يا علي ادع من أحببت، فخرجت الى المسجد و أصحاب رسول الله متوافرون، فقلت: أجيئوا رسول الله، فقاموا جميعاً و أقبلوا نحو النبي، فأخبرته بأن القوم كثير، فجلل السفرة بمنديل، و قال: ادخل علي عشرة بعد عشرة، ففعلت و جعلوا يأكلون يخرجون و لا ينقص الطعام، حتى لقد أكل من ذلك الحيس سبع مائة رجل و امرأة ببركة النبي.

قالت «أم سلمة»: ثم دعا بابنته فاطمة، و دعا بعلي، فأخذ علياً بيمينه و فاطمة بشماله، و جعلهما الى صدره، فقبل بين أعينهما، و دفع فاطمة الى علي و قال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثم أقبل على فاطمة و قال: يا فاطمة نعم البعل بعلك ثم قام يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هبىء لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: طهركما الله و طهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما و حرب لمن حاربكما، أستودعكما الله و استخلفه عليكم.^١

ليعتبر عشاق الدنيا و ذوو الايمان الضعيف المتأثرون بزخارف هذا العالم المادى، الذين يرون كرامة و جلال العائلة في التشريفات القاصمة للظهر التي تقام في العرس، و ليستلهموا من هذا البناء التربوي للانسان الذي يعدّ ثروة و كنزاً لسعادة كل من الشباب و الشابات، و ليتفحصوا صفحات التاريخ و يشاهدوا بأعينهم كيف طبقت تعاليم الاسلام أحداث «خطبة» و «مهر» و «جهاز» و «مراسم حفلة زواج» سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

١. بحار الانوار، ج ٤٣، «تاريخ الزهراء» ص ١٣١-١٣٢.

فاطمة عليها السلام بعد رحيل أبيها عليه السلام

«ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس باكية العين، محترقة القلب»^١

انقضت الفترة السعيدة من حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء بسرعة، و ذلك بوفاة النبي الكريم - رغم أنها لم تذق معنى السعادة في أي من مراحل حياتها بسبب الضغوط و الحروب و المؤامرات التي حاكها الأعداء ضد الاسلام و الرسول، مما سلب روح الزهراء الهدوء و الطمأنينة. و بارتحاله الى الرفيق الاعلى بدأت رياح الظلم و المصاعب تهب على آل بيته الميامين. فظهرت من جديد أحقاد بدر و خيبر و حنين التي دُفنت في عصر الرسول الأمين، تحت التراب، و ثار المنافقون و الأحزاب لينتقموا من الاسلام و من آل بيت محمد و خصوصاً ابنته فاطمة الزهراء التي كانت تمثل مركز الدائرة التي صوبت نحوها سهام الأعداء المسمومة. ألم فراق أبيها من ناحية

مظلومية أمير المؤمنين علي عليه السلام المؤلمة من ناحية أخرى. المؤامرات التي حاكها أعداء الاسلام من ناحية ثالثة. و قلق فاطمة على مستقبل المسلمين و كيفية الحفاظ على تعاليم القرآن.

١. المناقب، ج ٣، ص ٣٦٢.

اجتمعت هذه الامور مع بعضها لتعكر صفوها و تدمى قلبها، لكن فاطمة أخفت همها و غمها عن زوجها مخافة أن يتسع جرحه و معاناته من ظلم الأمة له، لهذا كانت تذهب الى قبر أبيها لتبث اليها آلامها و أحزانها و ما آل اليه حالها، فقد قالت ذات مرة: «يا أبتاه بقيت و الهة و حيرانة فريدة، قد انخمد صوتي و انقطع ظهري و تنغص عيشي». ومرة أخرى نراها تقول:

قُلْ لِلْمُعَيَّبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى اَنْ كُنْتُ تَسْمَعُ صَرَخَتِي وَ نِدَائِيَا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حِمَى بِظِلِّ مُحَمَّدٍ لَا أَخْشَى مِنْ ضَيْمٍ وَ كَانَ حِمَاً لِيَا
فَالْيَوْمَ أَخْشَعُ لِلذَّلِيلِ وَ أَتَقِي ضَيْمِي وَ أَدْفَعُ ظَالِمِي بِرِدَائِيَا
إِذَا بَكَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي لَيْلِهَا شَجَنًا عَلَى غُضَنِ بَكَيْتُ صَبَاحِيَا
فَلَأَجْعَلَ الْحُزْنَ بَعْدَكَ مُونِسِي وَ لَأَجْعَلَ الدَّمَعَ فِيكَ وَ شَاحِيَا
مَاذَا عَلَيَّ مَنْ شَمَّ ثُرْبَةَ أَحْمَدٍ اَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
لماذا بكت فاطمة بهذا الشكل؟

لم كل هذا الجزع؟

لماذا عدم الارتياح هذا، كأنها الحرمل على النار؟

لماذا؟

لنسمع منها جوابها على هذه التساؤلات.

تقول أم سلمة:

بعد وفاة الرسول الكريم ذهبت لزيارة و تفقد حال سيدة الاسلام فاطمة الزهراء فلخصت لي حالها بهذه الجمل العميقة:
أصبحت بين كمدٍ و كرب

فقد النبيّ و ظلم الوصي

هُتَكَ و الله حجابهُ...

ولكنها أحقاد بدرية

و ترات أحدية

كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة.^١

و رغم ذلك لم يخف على أحد ما تحملته في سبيل الدفاع عن الحرمة

العلوية المقدسة و حماية أمير المومنين علي بن أبي طالب.

فبالرغم من قصر حياتها بعد أبيها، حيث استجاب الله سبحانه و

تعالى دعائها و لبّت بدورها نداء الباري «عز و جل» لتنتقل الى جوار ربّها

و تسارع لرؤية أبيها، بالرغم من ذلك فقد بذلت كلّ ما في وسعها من فداءٍ

و تضحية في الدفاع عن الاسلام و التذكير بحق أمير المومنين علي.

صلى الله عليك يا بنت رسول الله و رحمة الله و بركاته.

١. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٢٢٥.

فضائل الزهراء عليها السلام

منزلة فاطمة عليها السلام

يتبادر الى ذهن البعض من الذين يجهلون أو يتجاهلون الحقائق أن الفضائل الكريمة المذكورة لأهل بيت النبوة، و منزلتهم السامية إنما تعزى الى حسن ظنّ مواليهم و تعلقهم الشديد بآل محمّد. فلأنهم يعشقون آل البيت لذا فهم لا يرون الامور الا من هذا المنظار، فكل ما يروى عنهم من فضيلة يؤمن بها الموالي دون أن يعيروا أهمية لسندها و مدى صحتها.

و لرفع سوء الظنّ من أولئك البعض، و لزيادة اطمئنان المحبين و المواليين فسوف نلجأ الى مصادر المذاهب الاخرى المشهورة و كتبهم المعروفة لننقل ما جاء فيها من احاديث و فضائل عن أهل بيت النبوة. لقد ذكرنا من قبل فضائل سيدة النساء فاطمة الزهراء من خلال شرح موجزٍ لحياتها المباركة، و غايتنا في هذا القسم من الكتاب أن نطلع على المقام المعنوي الرفيع لبنت رسول الله (و من خلال كتب أهل السنة المشهورة).

و قبل الدخول في صلب هذا البحث، نرى من اللازم أن نذكر بعض النقاط المهمة:

١- من الظريف أن معظم المناقب و الفضائل التي ذكرت في كتب

الشيعة عن فاطمة الزهراء، قد ذكرها أهل العامة في كتبهم المشهورة أيضاً، إلا القليل منها، والتي ذكرت في مصادر الشيعة المعتبرة دون أن ترد في كتب الآخرين.

٢- لم يُنقل في هذا القسم من الكتاب الذي بين يديك أى رواية عن كتب الشيعة، كما اقتصرنا على كتب الحديث و التاريخ المشهورة و المعتمدة من بين جميع كتب و مصادر العامة.

٣- من المثير للدهشة، تلك العاصفة الهوجاء التي حلت بالأمة الاسلامية بعد وفاة رسول الله بسبب الخلافة، و التي كانت تستبطن حرف مسار الخلافة عن آل بيت محمد الى أشخاص آخرين، فبعد أن نصّبهم الله سبحانه و تعالى خلفاء للنبي في حياته قام هؤلاء الأشخاص بتنحياتهم عنها و الاستيلاء على مسند الخلافة بعد وفاته.

اقصاء أهل البيت سبب أن قام الحكام بمحو فضائلهم و مناقبهم، و بالتالي محو ما يُثبت أولويتهم و أحقيتهم بخلافة رسول الله محمد. بالاضافة الى أنّ اثبات تلك الفضائل و المناقب استدعو الجميع للتساؤل ما معنى أن يتصدى الآخرون لهذا الامر و أهل بيت النبوة يتمتعون بهذه المنزلة و هذا المقام؟!

لم لا نقدم من قدمه الله تعالى و الرسول؟

و لماذا يحرم المسلمون من بحر علوم هؤلاء؟

لماذا...و لماذا؟

لذا يتضح لنا أن محو أو تجاهل تلك الفضائل كان جزءاً من خططهم السياسية. وقد بلغت هذه المسألة أوجها في عصر حكومة «بنى أمية» و «بنى العباس»، و لم يكن في السر أو في الخفية بل علناً و أمام الملأ، و لم

يكتفوا بمحو فضائل أهل البيت فحسب بل و بدأوا باثبات فضيلة الآخرين من خلال نشر أحاديث و روايات موضوعة كاذبة، حتى وصل بهم الأمر الى شراء بعض الصحابة - أو أشباه الصحابة - لهذا العمل القبيح، و أجزلوا لهم العطاء.

فلقد روى أَنَّ معاوية سلّم لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أَنَّ الايتين الشريفتين التاليتين قد نزلتا في علي بن أبي طالب و هما:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»^١.

و أَنَّ الآية التالية:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^٢

قد نزلت في عبدالرحمن بن ملجم.

فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل و روى ذلك.

و بهذا الشكل أصبح ذكر مناقب و فضائل آل البيت ممنوعاً على المنابر و في المجالس بل و يُعدُّ جرماً سياسياً في رأى النظام الحاكم، و من يخالف فقد حلّ عليه غضب النظام، فيسجن في بئرٍ مظلم أو يقطعوا لسانه أو يصلبوه.

١. سورة البقرة، آية ٢٠٤، ٢٠٥.

٢. سورة البقرة، آية ٢٠٧.

بعد ما جاء معاوية الى المدينة، حذر الصحابي و المفسر المعروف «ابن عباس» الذي كانت له مكانة خاصة في المجتمع الاسلامي من ذكر فضائل علي بن أبي طالب قال ابن عباس لمعاوية:
أتمنع قراءة القرآن؟ (يعني أني أتلو الايات التي وردت في حق علي).
قال: اقرأ القرآن ولكن لا تفسر آياته!

لقد قدر في مثل هذه الظروف أن تمحي فضائل آل البيت، لاسيما أن وسائل الاعلام آنذاك كانت مقتصرة على هذه المنابر و خطب الصلاة.
ولكن العجيب أن فضائل و مناقب آل بيت النبي لم تختف رغم الجوّ المشحون الذي صنعه المنافقون و أتما ملأت كتب الصديق و العدو أيضاً.
و الاعجب من ذلك أن نشاهد من بين تلك الوثائق التي تدل على فضائلهم اعترافات صريحة لاشخاص مثل «معاوية» و «عمرو بن العاص» و بعض الخلفاء المتقدمين يثبتون بها تلك الفضائل و المناقب التي كان يتمتع بها آل البيت، علماً أنّ هذه الاعترافات قد أرختها أيدي مؤرخيهم على صفحات التأريخ!

وما ذلك الا دليل على مشيئة الله في فضح المنافقين، و اعجاز كبير لاهل بيت العصمة.

٤- أظهر الساعون في محو فضائل آل بيت الرسول الكثير من التعصب، حيث لم يكتفوا بتشويه سمعة أمير المؤمنين علي و أبنائه الكرام و درج أسمائهم في القائمة السوداء لاولئك الحاقدين، و انما سعوا الى هدم و تحطيم مكانتهم الاجتماعية. و الأمر من ذلك أنهم عمدوا الى الحاق الأذى و الاساءة بكل كلاً من له علاقه بآل بيت محمد أياً كان نوعها.
فلماذا يصبر البعض على رغم الاثار و الدلائل التاريخية التي تشير الى

ايمان أبي طالب عم و حامي الرسول بأنه مات كافراً و مشركاً؟! زاعمين أن الآية الشريفة.

«وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْوُنْ عَنْهُ»^١ قد نزلت فيه!

لا لشيء سوى أنه والد أمير المؤمنين علي.

و لماذا اصرارهم على أن «بأذر الغفاري» ذلك الرجل الشجاع، ذو «مذهب اشتراكي»، حيث يتهمونهم بأنه يحمل عقائداً اشتراكية؟!!

ليس الا... كونه من خلص أصحاب أمير المؤمنين، و من المعترضين على الخليفة الثالث في مسألة اتلاف و هدر مال المسلمين. و هناك الكثير من مثل هذه التساؤلات.

فياترى بعد هذه المعادة، ألا يعجب المرء من وجود كل هذه الفضائل و المناقب لال البيت في كتب مخالفيهم؟ أليس من المعجزة أن تعبر أحاديث تحكي فضائل آل محمد عصوراً و أزمنة حارب فيها الحكام محبي آل البيت بشتى الطرق، حتى أنهم كانوا يعتبرون تسمية المولود باسم عليّ جرماً لا يغتفر؟!!

٥ - المثير للدهشة أن حذف تلك الفضائل لم يكن منحصراً بالقرون الاولى للاسلام، أو بعصر بنى أمية و بنى العباس فقط، ففي العصر الحاضر الذي يسمى «عصر المطالعات و الدراسات التاريخية الدقيقة» حيث طبع الكتب الاسلامية، و نشرها في مختلف الدول الاسلامية لذا فإنّ أيّ تغيير أو تحريف أو حذف للحقائق يسبّب فضيحة كبيرة، رغم ذلك نرى

١ - سورة الانعام آية ٢٦ «نقرأ شرحاً مفصلاً عن هذه التهمة الكبيرة و الدلائل التي تشير الى بطلانها في المجلد الخامس من «تفسير الامثل» من ص ١٩١ و ما بعدها.

محققون متعصبون! (ان أمكن الجمع بين التحقيق و التعصب) قد انتهجوا نفس أسلوب الامويين و العباسيين في حذف و تغيير و تحريف الحقائق. مما حدى بالعلامة «الاميني» و هو المحقق الاسلامي الكبير الى أن يذكر في كتابه «الغدير» بعضاً من النماذج. منها كيف أن المؤرخ المعروف «الطبري» حرّف الحديث المربوط بقصة يوم الدار و تفسير آية «و أنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ» و استعداد عليّ للوقوف بجانب رسول الله و اعلانه بوصاية و وزارة علي من بعده، حرف كل ذلك رغم سند الحديث المعتمد عند كل المذاهب.

و الأسوأ من ذلك ما فعله «محمد حسين هيكل» حيث نقل الحديث في الطبعة الاولى من تأريخه ثم حذف القسم الاله من الحديث في الطبعة التالية.^١

و الان و كما قلنا آنفاً فأننا سنذكر مناقب فاطمة الزهراء و مقامها الرفيع من خلال الاحاديث التي نقلتها كتب العامة المشهورة. و كما ذكرنا أيضاً فسوف لن ننقل أي حديث من مصادر و طرق الشيعة (رغم أنها معتبرة جداً و من الدرجة الاولى) فنخلي الميدان لاحاديث الاخرين حتى يتبين أن تألق هذه السيدة لا يمكن أن يخفيه الستار الذي ألقاه الحاقدون.

يتم التركيز هنا على عشر مباحث تعتبر محاور أصلية للموضوع وأن الزهراء:

١- أنها سيدة نساء العالمين.

٢- حوراء أنسية.

١. انظر الغدير، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٩٠.

٣- محبوبة الرسول و بضعته.

٤- مقربة الى الله يرضى لرضاها و يغضب لغضبها.

٥- صاحبة التضحية الكبرى و الفداء.

٦- المقام العلمى لفاطمة.

٧- كرامات سيده النساء.

٨- أول من يدخل الجنة.

٩- أسامي فاطمة.

١٠- هدية النبي لابنته الزهراء.

سيدة نساء العالمين

من الطبيعي أن تختلف منزلة البشر من واحدٍ لآخر. فمنهم من علا بفضيلته على الملائكة المقربين، ومنهم من هو أخطأ من الحيوانات. و طبقاً لما ينصُّ عليه القرآن و يوصي به الاسلام فإنَّ «العلم و الايمان و التقوى و الصفات الانسانية الفاضلة» هي التي ترفع من مقام الانسان و قيمته. و بالاستناد الى هذه المعايير فان سيدة فاطمة الزهراء - و على لسان رسول الله - سيدة نساء العالمين.

لقد ورد في مصادر أهل السنة المعروفة كثيراً من الروايات تنصُّ على أن فاطمة الزهراء أفضل نساء العالمين، حيث تحدث الرسول، بهذه لعدة مراتٍ و بتعابير مختلفة.

١- قال:

«ان أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم».^١

٢- و نقرأ في حديث آخر للرسول حين اعتل علة الموت عندما شاهد قلق و اضطراب فاطمة انه قال:

«يا فاطمة ألا تريين أن تكوني سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء هذه

١. نقل هذا الحديث في مستدرک الصحيحين، ج ٢، ص ٤٩٧ ثم صرح بان سنده صحيح.

الامة، و سيدة نساء المؤمنين»^١.

و هنا تظهر أفضلية فاطمة المطلقة، حيث لم يورد الرسول في حديثه اسماً آخر.

٣- نقل أبو نعيم الأصبهاني عن جابر بن سمرة. قال: جاء نبي الله فجلس و قال:

ان فاطمة وجعة فقال القوم: لو عدناها؟

فقام فمشى حتى انتهى الى الباب - و الباب عليها مصفق - قال، فنادى: شُدِّي عليك ثيابك فان القوم جاؤوا يعودونك.

فقلت: يا نبي الله ما عليّ عباءة. قال فأخذ رداءً فرمى به اليها من وراء الباب، فقال: شُدِّي بهذا رأسك، فدخل و دخل القوم فقعد ساعة فخرجوا، فقال القوم: تالله بنت نبيّنا على هذا الحال؟ قال فالتفت فقال:

«أما أنّها سيدة النساء يوم القيامة»^٢.

٤ - و بتعبير آخر رواه صحيح البخاري - و هو من أشهر مصادر الحديث عند العامة - نقلاً عن عائشة أنها قالت:

أقبلت فاطمة كأنّ مشيتها مشية رسول الله فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسرّ اليها حديثاً فبكت. فقلت استخصك رسول الله و أنت تبكين ثمّ أنّه أسرّ لها فضحكت.

قالت: فقلت لها ما رأيت كالיום أقرب فرحاً من حزن، ما أسر اليك؟

١. مستدرک الصحيحين، ج ٣، ص ١٥٦، كما صرح بصحة سند هذا الحديث.

٢. حلية الاولياء، ج ٢، ص ٤٢.

٣. صحيح البخاري كتاب بدء الخلق.

فقال فاطمة: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله.

حتى اذا قبض الرسول سألته، فقالت:

أنّه أسّر الّتي و قال: كان جبرئيل يعارضني بالقران في كلّ عامٍ و أنّه عارضني به هذا العام مرتين و لا أراه الاّ قد حضر أجلي و أنك أول أهلي لحوقاً بي و لنعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك فقال أما ترضين أن تكون سيدة نساء أهل الجنة و نساء المومنين؟! فذلك الذي أضحكني. و يتّضح جيداً من التأمل في هذه الاحاديث أنّه اذا قيل أنّ فاطمة واحدة من أربع من النساء الفاضلات، فان ذلك لا ينافي كونها أفضل تلك النساء الأربع.

ودلّلنا على هذا ما يفيدّه الحديث التالى:

* ٥ - نقل في كتاب «ذخائر العقبى» عن ابن عباس أن الرسول الكريم قال: «أربع نسوة سيدات سادات عالمهنّ: مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و أفضلهن فاطمة^١ و بالطبع فان كلمة «أفضلهن» تشتمل على عدة معان و تشير الى المنزلة العلمية و التقوى و الايثار و سائر الملكات الفاضلة. لقد صرّح القران قائلاً: أن الملائكة كانت تكلم مريم، كما في الاية الشريفة: «اذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله اصطفاك و طهرک و اصطفاك على نساء العالمين»^٢.

و قد كلمت مريم الملائكة و هذا ما تنص عليه آية ١٦ الى آية ٢١ من

١. ذخائر العقبى، ص ٤٤، و أيضاً السيوطى في «الدر المنثور» ذكر هذا الحديث في أسفل آية ٤٢ من سورة آل عمران.
٢. سورة آل عمران، آية ٤٢ كذلك آية ٤٣ و ٤٥.

سورة مريم و ينص القرآن على أنه كان يؤتى لمريم بطعام من الجنة. حيث نقرأ في الآية الشريفة: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^١

و يصفها في مكان آخر بأنها «صديقة»، كما في الآية الشريفة: «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ»^٢ و غير ذلك من الفضائل التي يثبتها للسيدة مريم و باقي النساء الفضلات كآسية بنت مزاحم، و كذلك يثبت النبي مثل هذه الفضائل و الكرامات للسيدة خديجة الكبرى.

و من هذا المنطلق نعرف أنَّ لفاطمة مقام عالى أو منزلة رفيعة مكرمة، خصوصاً ما جاء في رواية «الأفضيلة» التي تدل على أنَّ هذه المفخر و المناقب هي في الواقع جزء مما تتحلّى و تتميز به فاطمة.

١. سورة آل عمران، آية ٣٧.

٢. سورة المائدة، آية ٧٥.

حوراء الخسبية

ان اللبنة الاولى في بناء كيان الانسان هي انعقاد «النطقة»، لأنها على أية حال تحمل قسماً مهماً من قيمه الوجودية. و لذلك تواترت الروايات التي توصي بضرورة سلامة هذه اللبنة و صحة تكوينها. و عند ما نطالع تأريخ حياة سيدة النساء نرى أنها قد امتازت في هذا المجال عن جميع شخصيات العالم رجالاً و نساءً. و من الأفضل أن نسمع هذا الحديث من فم رسول الله: *٦- عن ابن عباس قال: كان النبيّ يكثر تقبيل فاطمة فقالت له عائشة: انك تكثر تقبيل فاطمة.

فقال: انّ جبرئيل ليلة أسرى بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صليبي فحملت خديجة بفاطمة «فاذا اشتقت لتك الشمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الشمار التي أكلتها»^١.

*٧- و جدير بالذكر أنّ بعض الروايات قد نصت على فاكهة «التفاح»، كما هو في كتاب «ذخائر العقبى» حيث ينقل «الطبري» حديثاً للرسول

١. ذخائر العقبى، ص ٣٦.

عن جمع من الصحابة أنه قال: «لما أسرى بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحةً فأكلتها فصارت نطفةً في ظهري فلما نزلت من السماء وقعت خديجة. ففاطمة من تلك النطفة»^١

* ٨- و قد نقل في حديث آخر أن الرسول قد تناول فاكهة «السفرجل» عند مروره بالجنة ليلة المعراج. جاء ذلك في «مستدرک الصحیحین» نقلاً عن «سعد بن مالك»^٢.

* ٩- و جاء في حديث آخر أن الفاكهة التي تناولها الرسول كانت غير معروفة لأهل الدنيا، كما أنها كانت لذیذة و عطرة النكهة حيث نقل «السيوطي» في «الدر المنثور» عن الرسول أنه قال:

«لما أسرى بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها و لا أبيض ورقاً و لا أطيب ثمرةً، فتناولت من ثمرتها، فأكلتها فصارت نطفة في صلبی، فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فاذا أنا اشتقت إلى ریح الجنة شممت ریح فاطمة»^٣

و في الواقع فإنّ الحديث الأول في هذا الفصل يحوي و يفسر مجموع هذه الاحاديث، فطبقاً لما جاء فيه فإن الرسول قد تناول من جميع فواكه الجنة و أنّ نطفة فاطمة قد انعقدت من عصارة تلك الثمار. هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار أن الدنيا التي نعيشها تختلف عن عالم الجنة بقدر تعجز معه أفاضنا عن تبیان حقائقها، و ما نذكره عنها ما هو الا اشارات مختصرة لما تتمتع بها.

١. ذخائر العقبی، ص ٤٤.

٢. مستدرک الصحیحین، ج ٣، ص ١٥٦.

٣. «السيوطي» في «الدر المنثور» في تفسير آیه «سبحان الذي أسرى بعبده» - سورة الاسراء آية ١.

على كلّ حال فان حوراء أنسية بالمواصفات الخلقية و الطبيعية لاهل الجنة لابد و أن تكون نطفتها من عصارة فاكهة الجنة، و هذا ما امتازت به هذه السيدة على سائر نساء العالمين.

كانت من نساء الجنة، نفسها و خلقتها، قلبها و روحها، لونها و هيئتها، قولها و حديثها، و غير ذلك من صفات و ميزات أهل الجنة، و خلاصة القول أنها من الجنة من رأسها الى أخمص قدميها.

فهل في تاريخ البشرية مثل هذا الوسام المشرف لغير هذه السيدة؟

فاطمة عليها السلام أحب الناس الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله

الحب و العشق، أقوى ما يربط بين موجودين.
يفيد قانون الجاذبية الذي يحكم عالم المادة أن قوة الجذب تتناسب
طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين و عكسياً مع مربع المسافة بينهما.
و يسري حكم هذا القانون في العالم المعنوي و العشق الالهي أيضاً.
فكلما سمت قيمة الأشخاص و تقاربت نفوسها زادت علاقة الحب و
العشق بينهما!

مع وجود اختلاف بسيط يختص به عالم المادة، فأحياناً يولد
الاختلاف و التضاد تجاذباً بين الجسمين (كما في التجاذب الحاصل بين
الشحنتين الموجبة و السالبة)، على خلاف ما يحدث في عالم الأرواح
حيث تقوى رابطة الجذب كلما زاد الشبه فيما بينهما، و تضعف إذا ما وجد
التضاد و الاختلاف.

نتجه بعد هذه المقدمة القصيرة صوب عالم الأحاديث، لنتعرف على
مدى علاقة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، و إلى أيّ مقدار
كان يحبها؟

* ١٠ - يروى عن عائشة أنها قالت:
«ما رأيت أحداً أشبه كلاماً و حديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله و كانت

إذا دخلت عليه رحب بها، و قام إليها، فأخذ بيدها فقبلها، و أجلسها في مجلسه».^١

* ١١- و جاء في رواية أخرى.

«كان كثيراً ما يقبل عرف فاطمة».^٢

* ١٢- و تنص رواية ثالثة على:

«كان كثيراً ما يقبلها في فمها».^٣

* ١٣- لقد كان الرسول ﷺ يظهر الكثير من محبته لفاطمة عليها السلام حتى أثار ذلك حفيظة عائشة، حيث قالت لرسول الله ﷺ:

«يا رسول الله ما لك إذا جاءت فاطمة قبلتها حتى تجعل لسانك في فيها كله كأنك تريد أن تطعمها عسلاً؟!

قال ﷺ: نعم يا عائشة، اني لما اسرى بى الى السماء... و قصَّ عليها قصة ثمار الجنة التي تناولها».^٤

* ١٤- و جاء في صحيح أبي داود

«كان رسول الله ﷺ اذا سافر كان آخر عهده بانسانٍ من أهله فاطمة عليها السلام و أول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة عليها السلام».^٥

كما نقل «أحمد بن حنبل» هذه الرواية في مسنده.^٦

لكن نعلم أن للحب و الحنان الواقعيين طرفان، فالحنان المطلق له

١. مستدرک الصحيحین، ج ٣، ص ١٥٤.

٢. كنز العمال، ج ٧، ص ١١١.

٣. فیض الغدير، ص ١٧٦.

٤. تاریخ بغداد، ج ٥، ص ٨٧.

٥. صحيح أبي داود، ج ٢٦، باب ما جاء في الانتفاع بالعاج.

٦. مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٢٨٢.

جانب سلبي، و يكون سطحياً عديم القيمة، و كما أسلفنا فان العشق الواقعي دليل على التشابه، و عند ما يحصل التشابه ستتولد الجاذبية بين الطرفين.

لذا فان الروايات الاسلامية تعكس حقيقة مهمة. ألا و هي أن العلاقة التي كانت تربط الرسول (ﷺ) بابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت علاقة متبادلة و بنفس الشدة. و اليك شواهد ما أشرنا اليه:

* ١٥- جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي، بينما رسول الله، يصلي عند البيت و أبوجهل و أصحابه له جلوس و قد نحرت جزور بالأمس فقال أبوجهل: أيكم يقوم الى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد اذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي (ﷺ) وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا و جعل بعضهم يميل الى بعض و أنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله (ﷺ)، و النبي (ﷺ) ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت و هي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي (ﷺ) صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، و كان اذا دعا ثلاثاً و اذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك و خافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة و أمية بن خلف و عتبة بن أبي معيط. فوالذي بعث محمداً (ﷺ) بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر^١

١. صحيح مسلم «كتاب الجهاد و السّير» و صحيح البخاري «كتاب بدأ الخلق باب ما لقى النبي و أصحابه من المشركين».

نعم، لقد كانت الزهراء عليها السلام منذ صغرها خليطاً من «المحبة» و «الشجاعة»، وهي دائماً على أهبة الاستعداد في الدفاع عن أبيها عليه السلام.
* ١٦- و نطالع أيضاً في نفس المصدر السابق عن أحداث غزوة أحد ما يأتي:

«قال سهل بن سعد: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته و هشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم و كان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقتة حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم»^١.

* ١٧- نقل «أبو نعيم الاصفهاني» في «حلية الاولياء» عن علي بن محمد بن اسماعيل عن... عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: قدم رسول الله ﷺ من غزاة له فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين - و كان يعجبه اذا قدم أن يدخل المسجد فيصلّي فيه ركعتين - ثم خرج فأتى فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه فاستقبلته فاطمة عليها السلام و جعلت تقبل وجهه و عينيه و تبكى.

فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: أراك قد شحب لونك. فقال لها: يا فاطمة، إنّ الله عزّ و جلّ بعث أباك بأمرٍ لم يبق على ظهر الارض بيت مدرّ و لا شعر الا أدخله به عزراً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل.^٢
* ١٨- و روى فيما روى عن أحداث الخندق عن علي عليه السلام في حفر

١. صحيح مسلم «كتاب الجهاد و السير» و صحيح البخاري «كتاب بدأ الخلق باب ما لقى النبي و أصحابه من المشركين».
٢. حلية الاولياء ج ٢، ص ٣٠.

الخدق اذ جاءته فاطمة بكسرةٍ من خبز فرفعتها اليه فقال ما هذه يا فاطمة، قالت: من قرصٍ اختبزه لابني جئتكَ منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنية أما أنها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث.^١

ما أعظم قوى الجذب التي تربط بين هذا الاب و ابنته؟
جاذبية متأصلة في أعماق روجيهما، و محبة قد ارتشفت من منبع وجود هما، و علاقة عشقٍ تمخض عنها اتحاد روح الأب بروح أبنته الملكوت الأعلى.

فهل هناك أفضل من هذا الافتخار لفاطمة الزهراء عليها السلام؟
فخر و فضيلة لم تكن لأى أحدٍ عبر تاريخ الاسلام سوى لمعلمها على ابن أبى طالب عليه السلام.

١. ذخائر العقبى، ص ٤٧.

قرب فاطمة عليها السلام من الله

نعلم أن الفناء هو أعلى مراتب القرب من الله سبحانه و تعالى.
«الفناء» يعني تجاهل و نسيان كل شيء، و كل ذي نفس، بل و حتى
الذات في مقابل الخالق الجبار. أى أن يصل المرء الى مرحلة لا يرى فيها
الوجود الدنيوى إلا سراباً، و لا يشاهد هذا العالم المخلوق الا كظلل باهت
زائل.

يرى الله في كل مكان، و يبحث عنه في كل مكان.
كالفراشة التي تدور حول شمعة تحترق، يصهر ذاته في وجود الله، فلا
يرى قيمة لكيانه في حضرة الاله.
بعد «التسليم المطلق» لا رادة الله «سبحانه و تعالى» و احداً من الآثار
المرتبة على وصول المرء لهذا المقام، فما يريد الله هو المراد، و ما يحبه
هو الأصلح.

فرضاه من رضا الله، و رضا الله من رضاه.
و بهذه المعايير العرفانية نتوجه صوب المقام العرفاني لسيدة نساء
العالمين و نتعرف على مدى سمو منزلتها عند الله و نطلع على الحقيقة
التي أشار اليها رسول الاسلام الكريم ﷺ
١٩ - نصّت الكتب المعروفة لأهل السنة على الكثير من الروايات التي

تشير إلى أن الرسول ﷺ قال لا بنته فاطمة الزهراء عليها السلام:

«ان الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك»^١.

٢٠ - ورد في «صحيح البخاري» الذي يعد من أشهر مصادر الحديث

عند العامة أن الرسول «ص» قال:

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني»^٢.

٢١ - و نطالع في مكان آخر من نفس المصدر هذا الحديث:

قال رسول الله ﷺ:

«فانما هي فاطمة بضعة مني يريني ما أرابها و يؤذيني ما آذاها»^٣.

و كما أشرنا سابقاً فإن الأحاديث كثيرة في هذا المجال، و كلها تحكي عن المقام العالي لفاطمة الزهراء عليها السلام في معرفة الخالق و عن درجة عصمتها و إيمانها و إخلاصها. فقد سمت بمقامها إلى الله سبحانه و تعالى حتى صار رضاها و غضبها مرآة لرضا الله و رسوله و سخطهما، و لا يمكن أن تعادل هذه الدرجة السامية بأي شيء.

٢٢ - و ننهي بحثنا هذا بحديث آخر ينقله لنا «صحيح الترمذي» فقد

قال رسول الله ﷺ:

«إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها و ينصبي ما نصبها»^٤.

من البديهي أنه لا يمكن لظاهرة الحنان التي تربط الوالد بولده أن

١. مستدرک الصحيحین، ج ٣، ص ١٥٣. كما نقل هذا الحديث «ابن حجر» في «الاصابة» و «ابن الأثير» في «أسد الغابة».

٢. صحيح البخاری «كتاب بدء الخلق» باب مناقب قرابة رسول الله.

٣. صحيح البخاری «كتاب النکاح» باب ذب الرجل عن أبنته - ورد مضمون هذين الحديثين في كتب معروفة مثل «خصائص النسائي»، «فيض الغدير»، «كنز العمال»، «مسند أحمد»، «صحيح أبي داود» و «حلية الأولياء».

٤. صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٣١٩.

تفسر هذا الأمر أن النبي «ص» رسول الله لا يريد إلا ما أراد الله، وأن رضا وسعادة فاطمة عليها السلام من رضا الله ورسوله ما هو إلا دليل على صهر إرادتها فيما يريده الله ويرضاه.

لا بد من الإشارة هنا إلى نقطة مهمة، وهي أن فسر البعض جملة «فاطمة بضعة مني» على أنها جزء من جسد الرسول ﷺ في الوقت الذي يدل مفهوم الحديث على أن فاطمة عليها السلام جزء من كيان وجود أبيها محمد ﷺ و من الناحيتين المادية والروحية. وهذا ما ستشير إليه الروايات التي سنستعرضها إن شاء الله تعالى.

زهد فاطمة عليها السلام

«حب الدنيا رأس كل خطيئة».

بالاستناد إلى الحديث النبوي الشريف وإلى ما تمخضت عنه تجاربنا ومشاهداتنا في الحياة فإنَّ كلَّ التجاوزات، الجنايات، الأكاذيب، الخيانات، الظلم كانت نتيجة لحب «المال» و «الجاه» و «الشهوة»، هنا يتضح أن الزهد و الورع هما أساس التقوى و الطهارة و الصلاح. و لكن يجب معرفة ماهية الزهد، فالزهد لا يعني ترك الدنيا و الرهبة و الاعتزال عن المجتمع، بل أن حقيقة الزهد هي الحرية و عدم الوقوع في شرك الدنيا.

قالزاهد من لم يتعلق قلبه بالدنيا و ان كانت عنده فلو أحس يوماً بأن رضا الله سبحانه و تعالى منوط بتركه لما في يديه كان مستعداً لهذا العمل، و يقول من أعماقه:

يا ليت بيني و بينك عامر و بيني و بين العالمين خراب. وإذا أستدعى الحفاظ على الحرية و الشرف و الإيمان أن يضحي بحياته و روحه و ماله لم يتوان في ذلك و يصرخ من أعماقه هيهات منا الذلة. و على حد قول القرآن الكريم في تعريفه للزاهد:

«لكيلا تأسوا على ما فاتكمو لا تفرحوا بما آتاكم»^١

بعد هذه المقدمة القصيرة نتوجه إلى أحاديث رسول الله ﷺ و نتعرف من خلالها على وجهة نظره بشأن شخصية فاطمة ؑ.

٢٣- نقل «ابن حجر» و آخرون في رواية عن الرسول ﷺ:

«أخرج أحمد و غيره ما حاصله أنه ﷺ كان إذا قدم من سفر أتى فاطمة و أطلال المكث عندها ففي مرة صنعت لها مسكين من ورق و قلادة و قرطين و ستر باب بيتها فقدم ﷺ و دخل عليها ثم خرج و قد عرف الغضب في وجهه حتى جلس على المنبر فظنت أنه إنما فعل ذلك لما رأى ما صنعت ف أرسلت به إليه ليجعله في سبيل الله، فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد و لا من آل محمد و لو كانت الدنيا تعدل عند الله في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء، ثم قال فدخل ﷺ عليها»^٢.

من الواضح أن يكون ثمن السوارين و القرطين الفضيين و العقد الفضي زهيداً، و الأزهد ثمناً منها ذلك الستار الذي يعلقه الإنسان على باب الغرفة، غير أن الرسول «ص» كان يعتبر أن ذلك ليس من شأن فاطمة ؑ، بل يرى أن فضيلتها و كرامتها تكمن في خصالها الإنسانية. تعلمت فاطمة ؑ هذا الدرس من أبيها مباشرة، حيث رمت بالدنيا و زخرفها جانباً محررة نفسها من ذلك الأسر من ناحية و أنفقت ما في يدها في سبيل الله من ناحية أخرى.

لقد عرفنا من خلال الحديث الذي سبق ذكره - برقم ٣- نقلاً عن كتاب

١. سورة الحديد، آية ٢٣.

٢. الصواعق المحرقة، ص ١٠٩.

«حليد الأولياء» لم تكن تملك الحجاب الكافي عند مجيء الرسول ﷺ و أصحابه لعيادتها، مما حدا به ﷺ أن يناولها عبأوته لتستر نفسها و تستعد للضيوف الذين جاؤوا لعيادتها.

إنَّ جهاز فاطمة عليها السلام و مراسم الزفاف التي جرت بمنتهى البساطة، و تفانيها في القيام على شؤون بيتها، حيث تحضن طفلها في إحدى يديها و في الأخرى تطحن الشعير لتهيء لهم الخبز، كل ذلك شواهد صادقة على زهداها العالي و إيمانها الصادق. و يشير الحديث التالي إلى هذا المعنى:

* ٢٤- نقل أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء»:

«لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى مجلت يدها و ربا، و أثر قطب الرحنى في يدها»^١.

* ٢٥- نقل في «مسند أحمد» و هو أحد أشهر مصادر أهل السنة عن أنس بن مالك أنه قال:

إن بلالاً بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي ﷺ ما حبسك فقال: مررت بفاطمة و هي تطحن و الصبي يبكي فقلت لها إن شئت كفيتك الرحا و كفيتيني الصبي و إن شئت كفيتك الصبي و كفيتيني الرحا فقالت أنا أرفق بابني منك. فذاك حبسني. فقال رسول الله ﷺ: «فرحمتها يرحمك الله»^٢.

من الفضائل الأخلاقية التي تتحلّى بها سيدة النساء هي الشجاعة و الشهامة في دفاعها من أبيها الرسول الكريم ﷺ ضد مشركي مكة، كما أن

١. حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤١.

٢. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٥٠.

مجيئها الى ميدان أُحَدِّد و تضميدها جراح الرسول ﷺ لم يكن ليخف عن أي أحد، وهذا ما أثبتته الأحاديث التي ذكرناها آنفاً. لقد سارت على طريق العبودية و عبادة الله منذ ولادتها، و هي على هذا الحال إلى أن فارقت روحها الحياة. و الحديث الآتي يدل على هذا المعنى.

* ٢٦- جاء في «ذخائر العقبى» ما جاء في قصة ولادة فاطمة الزهراء (عليها السلام) و انعقاد نطفتها من ثمار الجنة و حضور النساء الأربع عند ولادتها: «ولدت فاطمة (عليها السلام) فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة»^١.
* ٢٧- و نطالع في نفس المصدر رواية تدل على سموها و عفتها، حيث تنقل «أسماء بنت عميس» هذه القصة العجيبة:

قالت فاطمة (عليها السلام) لأسماء بنت عميس يا أسماء إني استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها و قالت أسماء: يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة (عليها السلام) ما أحسن هذا و أجمله، تعرف به المرأة من الرجل فإذا أنا مت فاغسليني أنت و علي و لا يدخل علي أحد. و جاء في نهاية هذا الحديث.

إن فاطمة (عليها السلام) لما رأت النعش تبسمت و ما رؤيت مبتسمة بعد النبي ﷺ قط.^٢

١. ذخائر، العقبى، ص ٤٤.

٢. ذخائر العقبى، ص ٥٤.

المكأة العلمفة لفاطمة ؑ

إنّ حب أولفاء الله لشخصٍ دون الآخر لفس حبّاً عافياً؁ فلا بد أن يكون قائماً على أسس مهمةٍ منها العلم والإيمان و التقوى. و ما علاقة الرسول الكرفم ؑ القوية بابنته فاطمة الزهراء ؑ إلاّ دلفل على تمتعها بتلك الصفات الفاضلة. إضافةً إلى ذلك؁ و عند ما يقول ؑ: «فاطمة أفضل نساء العالمفن» أو «أفضل نساء الجنة» و التي ذكرنا أسانفدها من قبل؁ فإنّ هذا بحدّ ذاته دلفل على أنّها أعلم نساء العالمفن.

و بعد ذلك هل فمكن لشخص لم فصل إلى مقام رففع فف العلم و المعرفة أن فكون رضاه من رضا الله؁ و غضبه من غضب الخالق و رسوله؟ كما تبفن لنا ذلك فف الروافات السابقة.

علاوةً على ذلك فقد وردت فف المصادر الأسلامفة المعروفة روااف مهمةٌ تكشف عن المقام العلمف الرففع لهذه السفة العظففة.

* ٢٨- نقل «أبو نعمف الأصفهافف عن رسول الله ؑ أنه قال فوماً لأصحابه ما ففر النساء؟

فلم فدر الحاضرون ما فقولون؁ فسار علىؑ إلى فاطمة فأخبرها بذلك. فقالت: فهلاً قلت له ففر لهفّ ألا فرفن الرجال و لا فرونهن. فرجع علىؑ فأخبره بذلك.

فقال رسول الله ﷺ من علمك هذا؟ قال: فاطمة ؑ فقال رسول الله ﷺ إنها بضعة مني.^١

يظهر من هذا الحديث أن أمير المؤمنين علي ؑ رغم ما كان يتمتع به من مقام عظيم في العلوم و المعارف الذي اعترف به الصديق و العدو و أنه باب مدينة علم الرسول الأكرم ﷺ إلا أنه كان يستفيد أحياناً من علم زوجته فاطمة الزهراء ؑ.

إن ما ذكر في نهاية هذه الرواية من أن رسول الله ﷺ قال «فاطمة بضعة مني» إنما يشير إلى حقيقة مهمة و هي أن القصد من «بضعة» لا يقتصر على كونها جزء من بدنه فقط كما فسر البعض، بل هي جزء من روح الرسول ﷺ و إيمانه و علمه و فضله و أخلاقه، فهي شعاع من تلك الشمس و قبس من تلك المشكاة.

* ٢٩ - جاء في «مسند أحمد» عن «أم سلمة» - أو طبقاً لرواية أم سلمى - أنها قالت:

اشتكت فاطمة شكواها التي قبضت فيه فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك قالت و خرج عليّ لبعض حاجته فقالت يا أمه اسكبي لي غسلاً فسكبت لها غسلاً فاغستلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت يا أمه أعطيني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبستها ثم قالت يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت ففعلت و اضطجعت و استقبلت القبلة و جعلت يدها تحت خدها ثم قالت يا أمه إني مقبوضة الان و قد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها قالت فجاء عليّ فأخبرته.^٢

١. حلية الاولياء، ج ٢ ص ٤٠.

٢. مسند أحمد، ج ٦، ص ٤٦١ و أورد هذا الحديث «ابن الاثير» «في أسد الغابة» كما رواه جمع آخر من المحدثين و الرواة.

نستدل من هذه الرواية أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تعلم بوقت وفاتها، حيث استعدت للرحيل دون أن تظهر عليها علاماته، و لما كان الإنسان لا يعلم بحلول أجله إلا بعلمٍ إلهي، لذا فإنَّ الله سبحانه و تعالى كان يلهم فاطمة عليها السلام. نعم، فقد ارتبطت روحها بعالم الغيب، و حدثتها ملائكة السماء.

و طبقاً لما جاءت به الروايات فإنَّها أفضل من مريم بنت عمران «أم عيسى عليه السلام»، و في هذا الكفاية، إضافةً إلى تصريح القرآن المجيد في أن الملائكة قد تحدثت إلى مريم و هي قد حدثتها - ذكرت ذلك آيات من سورة آل عمران و سورة مريم -

لذا فمن الأولى أن تكون فاطمة عليها السلام و هي ابنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله محدثة من ملائكة السماء.^١

١. يوجد في الروايات التي روتها الشيعة الوفير من الدلائل التي على سعة علمها و معرفتها، و قد ذكرنا قسماً منها في الفصول التي تحدثنا بها عن حياتها.

كرامات فاطمة عليها السلام

عندما تقوى روح الانسان، و تمتلئ بالصفات الالهية، و ينال منزلة القرب من الله، فإن إرادته (بمشيئة الله) ستؤثر في العالم التكويني و سيحدث له ما يريد. و هذه هي الولاية التكوينية التي تمتع بها أولياء الله، و هي منبع كراماتهم المختلفة التي تميز الأنبياء عليهم السلام بأعلى مراتبها و هي المعجزات.

و لقد حبى الله فاطمة الزهراء عليها السلام بمقدار كبير من تلك العناية الإلهية. و هذا ما تدل عليه الرواية التالية:

* ٣٠- نقل كثير من مفسري العامة و منهم «الزمخشري» في «الكشاف» و «السيوطي» في «الدر المنثور» في أسفل الآية الشريفة:

«كَلِمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال:

أقام رسول الله ﷺ أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدةٍ منهن شيئاً فأتى فاطمة عليها السلام فقال يا بُنية هل عندك شيء آكله فأني جائع فقالت لا و الله فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين و قطعة فأخذته منها فوضعت في جفنة لها

و قالت و الله لأؤثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسي و من عندي و كانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسناً إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت له بأبي أنت و أمي قد أتى الله بشيء قد خبأته لك فقال هلمي يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً و لحماً فلما نظرت إليها بهتت و عرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى و قدمته إلى النبي ﷺ فلما رآه حمد الله و قال من أين لك هذا يا بنية قالت يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله ثم قال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً فسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم جمع رسول الله ﷺ على بن أبي طالب عليه السلام و الحسن و الحسين عليهما السلام و جميع أهل بيته فأكلوا منه حتى شبعوا و بقى الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة عليها السلام على جيرانها^١

١. نقله الزمخشري في الكشاف في ذيل آية ٣٧ من سورة آل عمران و كذلك السيوطي في الدر المنثور، و الثعلبي في قصص الأنبياء، ص - ٥١٣.

أول من جرد الجنة

إنَّ سعادة المرء الواقعية تكمن في دخوله الجنة، حيث الرحمة
الالهية الواسعة، و أفضل الناس من سبق إليها.
وقد ثبت من خلال روايات أهل السنة المعروفة أنَّ الرسول ﷺ نسب
هذه المتقية إلى فاطمة الزهراء ﷺ و لعدة مرّات.
* ٣١- جاء في «ميزان الاعتدال» للذهبي نقلاً عن الرسول الكريم ﷺ:
«أول شخص يدخل الجنة فاطمة ﷺ»^١
* ٣٢- و نقل عنه ﷺ في حديث آخر أنه قال:
«أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد ﷺ و مثلها في هذه
الامة مثل مريم في بني إسرائيل»^٢.
و بغض النظر عما سبق نستدل من الروايات الإسلامية المعروفة على
أن ورودها إلى ساحة المحشر، و منها إلى الجنة سيكون مصحوباً بمراسم
و تشريفات غاية في العظمة مما يدل على سمو منزلتها و عظم مقامها.
* ٣٣- نقل علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال:
«تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة و عليها حلة الكرامة قد عجت بماء

١. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٣١.

٢. كنز العمال، ج ٦، ص ٢١٩.

الحيوان، فتتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها».

و يضيف عليها السلام في آخر الحديث:

«فتزف إلى الجنة كالعروس لها سبعون ألف جارية»^١

* ٣٤ - و تروي عائشة حديثاً آخر عن الرسول الكريم ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا معشر الخلائق طأطؤا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد»^٢.

* ٣٥ - و نقرأ في حديث آخر يشير إلى نفس المعنى:

«فتمر مع سبعين ألف جارية من الحورالعين كمّر البراق»^٣.

* ٣٦ - و الأعجب من ذلك ما نقله كتاب «تأريخ بغداد» عن الرسول

الكريم ﷺ أنه قال:

عند ما عرج بي إلى السماء في تلك الليلة رأيت باب الجنة وقد كتب عليها:

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، والحسن والحسين صفوة

الله و فاطمة خيرة الله، على باغضهم لعنة الله»^٤.

١. ذخائر العقبى، ص ٤٨.

٢. تاريخ بغداد، ج ٨، ص ١٤١.

٣. كنز العمال، ج ٦، ص ٢١٨.

٤. تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٥٩.

معاني أسماء فاطمة ؑ

تكشف الأسماء عادةً عن ماهية المسمى، خصوصاً إذا كان واضح الاسم حكيماً، و نستشف من مجموع الأحاديث أن تسمية هذه السيدة الجليلة كانت بواسطة حكيم الحكماء المطلق ألا و هو رب العالمين «جلّ و علا».

و من ناحيةٍ أخرى فإن فاطمة عليّ وزن «فطم» (عليّ وزن فعل) و هو بمعنى انقطاع الطفل عن الرضاعة، ثم أطلق عليّ كلّ ما يحمل معنى الانفصال.

و الآن لتتعرف عليّ ما جاء في الروايات الاسلامية؟

* ٣٧- روي عن الرسول ﷺ أنه قال:

«إنما سماها فاطمة لأنّ الله فطمها و محببها من النار».^١

يستفاد من هذا التعبير أن تسمية هذه السيدة الجليلة بهذا الاسم إنما كان من قبل الله سبحانه و تعالى، و معناه أنه وعد فاطمة ﷺ و محببها و المنتهجين نهجها أن لا تمسهم النار.

* ٣٨- نقرأ في «ذخائر العقبى» عن عليّ ﷺ أن الرسول ﷺ قال

لفاطمة ﷺ يا فاطمة أتدريين لم سُميت فاطمة؟

١. تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٣٣١.

فقال علي عليه السلام: لم سُمِّيت فاطمة يا رسول الله؟
فقال رسول الله:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ فَطَمَهَا وَ ذَرِيَّتَهَا عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^١
من البديهي أن القصد من «ذرية» هم الذين يسيرون على نهج هذه
الأم العظيمة، و ليس كمثلي ابن نوح حيث جاء الخطاب: «إنه ليس من
أهلك إنه عمل غير صالح».

و لهذا نرى أن بعض الأحاديث قد جمعت بين كلمتي «ذرية» و
«محبى» في آنٍ واحد، و من كان يظن منا أن معنى الروايات الأخيرة هو
نجاة العصاة منهم و حتى الكافر المشرك من العذاب الالهي لمحبه
لفاطمة الزهراء عليها السلام، فهو على خطأ لأن ذلك لا يتفق مع أيٍّ من المعايير
الاسلامية، إضافةً إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله و هو أصل هذه الشجرة الطيبة قد
خوطب في القرآن المجيد بهذه الصورة في الآية الشريفة:

﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٢

و صرحت آية أخرى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ
الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^٣

فهل يمكن للفرع أن يعلو على الأصل؟ و هل أن أبناء رسول الله
أفضل منه؟!

مما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يطرأ على تفكيره الشرك بالله أبداً،

١. ذخائر العقبى، ص ٢٦.

٢. سورة الزمر، آية ٦٥.

٣. سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٧.

و لم (و العياذ بالله) يكذب على الله، لكن هذه الآيات تضر في محتواها درساً كبيراً للأمة الإسلامية، حتى يعلم الجميع أن نجاة المرء مقرونة بإخلاصه لله. و هذا لا يتنافى مع المقام السامي و الدرجة الرفيعة لأئمة الأمة الإسلامية و ساداتها.

من المتعارف عند العرب أن يُكنى الرجل بـ«أب» و تُكنى المرأة بـ«أم»، هذا بالإضافة إلى أسمائهم. و من بين الكنى التي كُنت بها فاطمة الزهراء عليها السلام تبرز كنيةٌ عجيبةٌ تدل على عظمة الزهراء عليها السلام، كما في الرواية التالية:

٣٩- ورد في كتاب «أسد الغابة»:

«كانت فاطمة تُكنى أم أبيها»^١.

و ورد نفس المعنى في كتاب «الاستيعاب» نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام^٢:

«لم يرَ لهذا التعبير العجيب نظيراً في أيّ من نساء الإسلام، و هو يدل على أنّ هذه البنت الوفية كانت تقوم بدور الأم في رعايتها لأبيها و السهر عليه.»

نعلم أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فقد أمه و هو في مرحلة الطفولة، لكن أبنته هذه لم تُقصر في محبتها و حنانها و قلقها عليه رغم صغر سنّها. فهي بنت مضحية و فدائية من ناحية، و هي أم مؤثرة حنونة من ناحيةٍ أخرى، و مواسية و فية من ناحيةٍ ثالثة، و قد شهدت بذلك الروايات التي ذكرناها.

١. أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٠.

٢. الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٥٢.

555

سجلت صفحات التأريخ بعضاً من الهدايا المعنوية التي منحها الرسول الكريم ﷺ لابنته فاطمة ﷺ و التي فاقت كل واحدة منها الأخرى، لا سيما تسيحة الزهراء، هذا بالإضافة إلى هدية مادية معنوية منحها ﷺ لفاطمة ﷺ بأمرٍ إلهي، كما نصّ على ذلك متن الرواية التالية:

٤٠ - جاء في الدر المنثور «للسيوطي» عن البزاز و أبي يعلى و ابن حاتم و ابن مردويه عن سعيد الخدري أنه قال:

«لما نزلت الآية «وآت ذا القربى حقه»^١ دعا رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ﷺ و أعطاهما فدكاً»^٢.

و بالطبع (كما سيأتي شرحه في فصل - أحداث فدك المؤلمة-) فإن منح فدك لفاطمة ﷺ لم تكن مسألة أو هدية عادية، بل كانت سنداً و دعامةً لولاية علي بن أبي طالب ﷺ و عاملاً في تقوية و تثبيت مقام هذه العائلة الكريمة، و من هذا المنطلق فهي تعدُّ هديةً معنوية.

و لكنّ النظام الذي أدرك معنى هذه الهدية جيداً، سارع بعد رحيل الرسول ﷺ إلى أنتزاعها من فاطمة الزهراء ﷺ و ضمها إلى بيت المال مستنداً في ذلك إلى حديثٍ موضوع و حجة باطلة. و هذه قصة طويلة

١. سورة الإسراء، آية ٢٦.
٢. الدر المنثور في ذيل آية ٢٦ من سورة الإسراء، و ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٢٨٨، و كنز العمال، ج ٢، ص ١٥٨.

مملوءةٍ بالعبير و الاحداث المؤلمة و الظالمة، و التي يمكن اعتبارها سنداً إسلامياً مهماً في تحليل تأريخ صدر الاسلام و الحوادث التي أعقبت رحيل النبي ﷺ . و نوكل الحديث إلى محله.

«إلهي!» أحيانا ما أحييتنا على محبة و موالاة هذه السيدة و أبيها و بعلمها و بنيتها - صلوات الله عليهم - و أحشرنا في زمريهم.
«يا رب» وفقنا في أتباع نهجهم، و الاهتداء بنور هدايتهم، و الاقتداء بسنتهم.

«و اجعلنا ممن يأخذ بحجزتهم، و يملك في ظلهم، و يهتدي بهداهم».
«أمين يا رب العالمين»

أحداث فدك المؤلمة

تعد قصة «فدك» من أعمّ القصص التي مرت بحياة فاطمة الزهراء عليها السلام خصوصاً، وأهل البيت عموماً، وتأريخ الإسلام بشكلٍ أوسعٍ وأعمّ، والتي حيكت أحداثها مع المؤامرات السياسية الوضعية، كما أنها منفذ لحل بعض من ألغاز تأريخ صدر الإسلام.

فدك ؛ ماذا كانت و أين كانت؟

ذكر كثير من المؤرخين وأرباب اللغة بأن «فدك» قرية بالحجاز - قريبة من خيبر - بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، (وكتب البعض أنها تبعد عن المدينة بمسافةٍ مقدارها ١٤٠ كيلومتر) أفاءها الله على رسوله ﷺ، وفيها عين فوارة ونخل كثير،^١ و تعد مركزاً مهماً لليهود في أرض الحجاز بعد خيبر.

و في كيفية انتقال هذه الأرض الخضراء المعمورة لرسول الله ﷺ، فالمعروف هو أن الانتصار الذي حققه رسول الله ﷺ في فتح حصون خيبر أربع أهل فدك المتعصبين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصلحهم على نصف «فدك»، فقبل الرسول ﷺ ذلك منهم و أمضى ذلك الصلح، و

١. معجم البلدان، مادة فدك.

بهذا فهي ممالم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.
و بما أن القرآن ينص على «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^١ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^٢ لذا فهي خالصة لرسول الله ﷺ، يصرف ما يأتيه منها في «أبناء السبيل» و أمثال ذلك.

نقل هذا الحديث كل من ياقوت الحموي في «معجم البلدان» و ابن منظور الأندلسي في «لسان العرب» و آخرون كثيرون.
و أشار إلى ذلك أيضاً «الطبري» في تأريخه و «ابن الأثير» في كتاب «الكامل».^٣ كما كتب الكثير من المؤرخين أن الرسول ﷺ قد منح أبنته الزهراء عليها السلام فدكاً في حياته.^٤

الدليل البين الذي يثبت هذه الحقيقة هو ما نقله المفسرون الكبار، منهم مفسر أهل السنة المعروف «جلال الدين السيوطي» في كتاب «الدر المنثور»، حيث نقل في ذيل الآية السادسة عشرة من سورة الإسراء حديثاً عن «أبي سعيد الخدري» يقول فيه:
«لما نزل قوله تعالى - و آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فاطمة فدكاً».^٥

١. سورة الحشر، آية ٦.

٢. سورة الحشر، آية ٧.

٣. راجع كتاب «فدك» القيم للسيد محمد القزويني الحائري.

٤. لأنها كانت ملكاً لرسول الله ﷺ.

٥. الدر المنثور، مجلد ٤، ص ١٧٧. وكان ممن روى هذا الحديث من رواة العامة هم

الدليل الحي الآخر الذي يعتبر سنداً مهماً في هذا الأمر - أو لهذا الادعاء - هو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في نهج البلاغة: «بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله»^١.

يشير هذا الحديث بوضوح إلى أن فذكاً كانت بيد علي و فاطمة ﷺ في حياة الرسول ﷺ، لكن بعض الحكام البخلاء تعلقوا بها، فتخلّى علي و زوجته ﷺ عنها مجبرين. و من البديهي أنهم لم يكونوا موافقين لما حدث، و إلا فما معنى سؤال و طلب الأمير ﷺ من الله سبحانه و تعالى في أن يحكم بينه و بينهم.

نقل الكثير من علماء الشيعة أيضاً في كتبهم المعتبرة روايات تتعلق بهذه المسألة منهم: المرحوم الكليني «الكافي» و المرحوم «الصدوق» و المرحوم «محمد ابن مسعود العياشي» في تفسيره، و «علي ابن عيسى الأربلي» في «كشف الغمة»، و آخرون في كتب الحديث و التاريخ و التفسير، لا يسع المقام لذكرهم.

الآن... لنرى لماذا و بأيّ دليل أنتزعت الزهراء ﷺ فذكها؟

﴿البزّاز﴾ و «أبو يعلى» و «ابن مردويه» و «ابن أبي حاتم» عن أبي سعيد الخدري، (راجع كتاب الاعتدال، ج ٢، ص ٢٨٨ و كنز العمال، ج ٢، ص ١٥٨).
١. نهج البلاغة، (رسالة ٤٥ رسالته إلى «عثمان بن حنيف»).

١ - العوامل السياسية في غصب فدك

لم تكن مسألة انتزاع «فدك» من الزهراء عليها السلام مسألة عادية لا تحمل إلا الجانب المادي فحسب، بل إن جانبها الاقتصادي قد أنصبَّ في قالب المسائل السياسية التي حكمت المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، و في الحقيقة لا يمكن فصل مسألة «فدك» عن سائر أحداث ذلك العصر، و إنما هي حلقة من سلسلة كبيرة، و ظاهرة من وقائع شاملة و واسعة!

إنَّ لهذا الغصب التاريخي الكبير عواملاً نوردها في النقاط التالية:

١- يعتبر وجود «فدك» في حيازة آل بيت النبوة عليهم السلام ميزة كبيرة لهم، و هذا بحد ذاته دليل على علوِّ مقامهم عند الله و قربهم الشديد من الرسول صلى الله عليه وآله، خصوصاً ما نقلته كتب الشيعة و السنة في الروايات التي ذكرناها آنفاً من أن الرسول صلى الله عليه وآله استدعى فاطمة عليها السلام بعد نزول الآية «وآت ذا القربى» و أعطاهها فدكاً.

من الواضح أن وجود «فدك» في حيازة آل بيت محمد صلى الله عليه وآله منذ البداية يكون مدعاةً لالتفاف الناس حولهم و البحث عن سائر آثار النبي الكريم صلى الله عليه وآله في هذه العائلة خصوصاً مسألة الخلافة، و هذا الأمر لم يكن ليتحملة مؤيدو إنتقال الخلافة إلى الآخرين.

٢- كانت هذه المسألة مهمة في بعدها الاقتصادي، كما هو أثرها

الفعال في بعدها السياسي، لأن وقوع أمير المؤمنين ﷺ وآله في مضيقٍ اقتصادية يؤدي إلى تدهور وضعهم السياسي بنفس النسبة. بعبارة أخرى فإنَّ حيازتهم على فلك يوفّر لهم امتيازات تكون بمثابة المتكأ الذي تستند عليه مسألة الولاية كما فعلت أموال خديجة ﷺ في انتشار الإسلام في بدء دعوة نبي الإسلام ﷺ.

من المتعارف عليه في جميع أنحاء العالم أنه إذا أريد طمس شخصية كبيرة، أو تقييد دولة ما لتعيش حالة الانزواء فإنه يعمل على محاصرتها اقتصادياً، و قد نصَّ تأريخ الإسلام في قصة «شعب أبي طالب» عندما حوَصر المسلمون من قبل المشركين حصاراً اقتصادياً شديداً.

في تفسير سورة المنافقين، وفي ذيل الآية «لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ»^١ أشير إلى مؤامرة شبيهة بهذه المؤامرة قد حاكها المنافقون، لكنَّ اللطف الإلهي أحمَد نارها و هي في المهد، لذا فليس من العجب في شيء أن يسعى المخالفون إلى انتزاع هذه الثروة من آل بيت النبي الكريم ﷺ، وإخلاء أيديهم ودفعهم بعيداً عن الساحة. ٣- وإن هم وافقوا على أن فلك ميراث النبي ﷺ أو هديته لا بنته فاطمة الزهراء ﷺ وبالتالي تسليمها إليها فإن ذلك سيفتح الطريق لها في المطالبة بمسألة الخلافة. هذه النقطة يطرحها العالم السني المشهور «ابن أبي الحديد المعتزلي» في شرح «نهج البلاغة» بصورةٍ ظريفةٍ حيث يقول: «سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟

قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فلك و هي عنده صادقة؟

١. سورة المنافقين، آية ١.

فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه و حرمة وقلّة دعايته، قال: لو أعطاه اليوم فذك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً و أدعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و المدافعة بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعيه كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة و لا شهود» و بعدها يضيف «ابن أبي الحديد» قائلاً: «و هذا كلام صحيح، و إن كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل»^١ إنَّ هذا الاعتراف الصريح الذي أدلى به اثنان من علماء أهل السنة، شاهد حيّ على أنّ لقصة فذك جانباً سياسياً هاماً. ولكي يتضح هذا المعنى سنقف في البحث التالي على مصير هذه القرية عبر تاريخ الإسلام منذ قرونه الأولى، و كيف أنها انتقلت من يدٍ إلى أخرى و كيف تباينت آراء الخلفاء بخصوصها.

١. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٧٨.

٢- فدك عبر العصور

كيف عادت فدك لأهل البيت عليه السلام

يعد مسير فدك التاريخ من عجائب التاريخ الإسلامي فقد كان لكل من الخلفاء عبر العصور موقفاً خاصاً منها، فمنهم من قبضها ومنهم من ردها إلى أصحابها، و طال الأمد بها على هذا الحال إلى أن صبحت الأرض و ضاع منها نعيمها. و للتعرف على فصول النزاع الذي مرت به هذه القرية العامرة يكفيننا الوقوف على النقاط التالية:

١- إنتقلت «فدك» كما نعلم إلى الرسول ﷺ بعد سقوط خيبر لأنه قبل الصلح مع اليهود. و طبقاً لآية الشريفة «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...» فقد صارت كلها ملكاً شخصياً مختصاً برسول الله ﷺ.

٢- طبقاً للوثائق التاريخية المعتبرة فإن الرسول ﷺ منح و بأمرٍ إلهي فدكاً إلى فاطمة الزهراء عليها السلام في حياته، و ذلك عند ما نزلت الآية الشريفة «وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ». بهذه الصورة أصبحت في حيازة ابنة الرسول الكريم ﷺ.

٣- اغتصبت هذه المعمورة في زمن الخليفة الأول، و ضُمَّت إلى أموال الدولة، و قد سعى هؤلاء الى الحفاظ على هذا الوضع.

٤- ظل الوضع على هذا الحال إلى أن آلت الخلافة إلى الخليفة

الأموي «عمر بن عبد العزيز» الذي كان أقرب لأهل البيت عليه السلام من غيره، حيث نقرأ في شرح نهج البلاغة: «لما ولي عمر بن عبد العزيز ردّ فذك علي ولد فاطمة، وكتب إلى و اليه علي المدينة أبي بكر عمرو بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه: إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان، و آل فلان و آل فلان، فعلى من أردّ منهم؟ فكتب إليه:

«أما بعد: فإني لو كتبت إليك أمرك أن تذبح شاةً لكتبت إليّ: أجماء أم قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرةً لسألتني: ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من علي عليه السلام والسلام»^١. بهذا الشكل صارت «فذك» بيد أبناء فاطمة عليها السلام بعد أن دارت دورة كبيرة تنقلت فيها بين هذا و ذاك.

٥- لم يمض وقت طويل حتى غصبها الخليفة الأموي «يزيد بن عبد الملك» ثانيةً.

٦- بعد أن ولي الأمويون و استخلفهم العباسيون، أعاد الخليفة العباسي المعروف «أبو العباس السفاح» فذكاً إلى «عبدالله بن الحسن بن علي عليه السلام» باعتباره ممثل بني فاطمة عليها السلام.

٧- بعدها مباشرة قام «أبو جعفر العباسي» بانتزاعها من «بني الحسن» (أنهم ثاروا على بني العباس)

٨- أعاد الخليفة «المهدي العباسي» ابن «أبو جعفر» فذكاً إلى أبناء فاطمة عليها السلام.

٩- قام الخليفة العباسي «موسى الهادي» بغصبها ثانيةً، و ظل الوضع على هذا الحال في زمن هارون الرشيد.

١. البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٨

١٠- ولكي يُظهر علاقته الشديدة بأهل بيت الرسول ﷺ و أبناء عليّ و فاطمة ؓ، قام المأمون برد فدك إلى وُلد فاطمة ؓ.

لقد ورد في التاريخ أن المأمون كتب إلى و اليه على المدينة «قثم بن جعفر» قائلاً:

«إنّه كان رسول الله أعطى ابنته فاطمة فدكاً و تصديق عليها بها، وإنّ ذلك كان أمراً ظاهراً معروفاً عند آله عليهم السلام ثم لم تزل فاطمة تدعي منه بما هي أولى من صدق عليه، وإنه قد رأى ردها إلى ورثتها و تسليمها إلى «محمّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ»... و «محمّد بن عبدالله بن الحسين»... ليقوما بها لأهلها».

يقول ابن أبي الحديد:

«جلس المأمون للمظالم، فأول رقعة وقعت في يده نظر فيها و بكى، و قال للذي على رأسه: ناد أين وكيل فاطمة؟ فقام شيخ عليه دراعة و عمامة و خفّ تعزي، فتقدم فجعل يناظره في فدك و المأمون يحتجّ عليه و المأمور يحتجّ على المأمون، ثمّ أمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل و قرىء عليه، فأنفذه، فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التي أولها:

أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمانِ قَدْ ضَحِكَ بِرَدِّ مَأْمُونٍ هَاشِماً فِدْكَ^١

و قد ذكر مؤلف كتاب «فدك» أن المأمون اعتمد على رواية أبي سعيد الخدري بإعطاء النبي ﷺ، فدكاً لفاطمة فقأم برد فدك على أبنائها.^٢

١١- أما «المتوكل العباسي» و بسبب الحقد الذي كان يضره لأهل بيت النبوة ﷺ، قام بغصب فدك من أبناء فاطمة ؓ مجدداً.

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢١٧.

٢. فدك، السيد محمّد حسن القزويني الحائري، ص ٦٠.

١٢- أصدر ابن المتوكل و هو «المنتصر» أمراً بـرد فدك إلى الحسن و الحسين (عليه السلام) ثانية.

مما لا شك فيه أن تنقل الأرض من يدٍ لأخرى، و التلاعب بأمرها في كل يومٍ من قبل السياسيين الحاقدين سيسبب هلاكها و خرابها بسرعة، و هو عين ما حدث لفدك، فسرعان ما خربت عمارتها و تيبست أشجارها و جفت ثمارها!

على كل حال فإن هذه الانتقالات التي حصلت إنما تدل على حقيقة محسوسة ملموسة، ألا و هي أنَّ الخلفاء كانوا شديدي الحساسية تجاه فدك، فتصرف و موقف كل منهم إنما هو نابع مما تقتضيه مصلحته السياسية.

و كل ذلك تأكيد على ما ذكرناه من أن لغصب فدك بعداً سياسياً أهم من بعده الاقتصادي، فمصلحتهم كانت تقتضي منهم أن يعملوا على إبعاد أهل بيت الرسالة (عليه السلام) عن المجتمع الإسلامي، و التقليل من شأنهم و مكانتهم، و إظهار العداء لهم تارةً، و التقرب و التودد إليهم تارةً أخرى عن طريق ردّ فدك إليهم و الذي تكرر لعدة مرات عبر التاريخ.

إن أهمية فدك في أذهان عامة المسلمين محدودة، فما يذكره التأريخ هو أنها لم تزل في أيديهم حتى كان في أيام المتوكل، و كان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ﷺ بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل.^١

١. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢١٧.

٣ - فدك وأئمة الهدى عليهم السلام

من المسائل الملفتة للنظر هي عدم تدخل أيّ من الأئمة «بعد الغصب الأول» في أمر فدك، ابتداءً من أمير المؤمنين عليه السلام و مروراً بالأئمة من ولده بل إن بعض الخلفاء من أمثال «عمر بن عبدالعزيز» و «المأمون» اقترحوا ردّها على واحدٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، و كان ذلك مدعاةً للحيرة و التساؤل عن سبب موقفهم هذا من فدك؟

لِمَ لم يرجع علىّ الحق إلى أهله عند ما كانت الدولة الإسلامية تحت سيطرته، أو لماذا (على سبيل المثال) لم يعط المأمون فدكاً إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام خصوصاً و أنّه كان يظهر للإمام حبه العميق؟ و لماذا أعطاه لبعض من حفدة زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام باعتباره ممثلاً عن «بني هاشم»؟

ونقول في الإجابة علىّ هذا السؤال التاريخي المهم:
أما بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنّه أفصح عن رأيه في أمرها في قوله المختصر الغزير المعنى و الذي قال فيه:
«بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله. و ما أصنع بفدك

و غير فذك، و النفس مظانها في غدٍ جدت تنقطع في ظلمته آثارها...»^١
 بين أمير المؤمنين (عليه السلام) بصورة عملية أن مطالبته بفدك لم تكن لكونها
 منبعاً مصدراً اقتصادياً يسترزق منه، و أن هو و زوجته طالبا بها يوماً
 فلأنها سبيل إلى تثبيت مسألة الولاية، و منع خطوط الانحراف من
 السيطرة على منصب خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله). الآن و بعد أن مضى ما مضى، و
 بعد أن بقى لفدك جانبها المادي فقط، فما فائدة استردادها؟
 و للعالم و المحقق الكبير السيد المرتضى كلام قيم بهذا الشأن حيث
 يقول:

«لما آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب كُلم في رد فدك فقال: إني
 لأستحي أن أُرَدَّ شيئاً منع منه أبوبكر و أمضاه عمر»^٢
 إن هذا القول الحكيم يشير في الحقيقة إلى شهامة و عدم اعتناء
 الأمير (عليه السلام) بفدك كونها ثروة مادية و مصدر رزق من ناحية، و من ناحية
 أخرى فهو يعرف غاصبي الحق الأوائل.
 أما لماذا لم يسلم الخلفاء الذين أظهروا و دهم لآل بيت النبوة (صلى الله عليه وآله)
 فدك إلى الأئمة، و دفعوها إلى أحد أحفاد زيد بن علي مثلاً أو أشخاصاً
 غير معروفين باعتبارهم ممثلين لبني فاطمة (عليها السلام)؟
 فانه يمكن أن يكون لهذا الأمر سببان:
 ١- لم يكن أئمة الهدى (عليهم السلام) ليتقبلوا فدكاً، فحينها كان لذلك العمل
 بعداً مادياً يطغى على بعده المعنوي، و ربما كان يحمل على أنه تعلق
 بثروة دنيوية لا معنوية.

١. نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

٢. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٥٢.

بتعبير آخر فإن تسلم الأئمة ؓ لها في تلك الظروف يقلل من شأنهم، إضافة إلى أن ذلك سيمنعهم من القيام على خلفاء الجور، فكلما أرادوا مجاهدة الحكام انتزعت منهم فذك. (و هذا نفس ما رواه التاريخ من أن الخليفة العباسي «أبو جعفر» انتزع فذك من «بني الحسن» عندما ثار بعضهم عليه).

٢- من ناحية أخرى كان الخلفاء يفضلون عدم تطور إمكانات الأئمة ؓ المادية، فكما هو معروف في قصة «هارون الرشيد» عند مجيئه للمدينة و احترامه الشديد للإمام «موسى بن جعفر» ؓ بشكلٍ أذهل ذلك ابنه المأمون.

ولكن عند ما حان وقت الهدايا، أرسل الرشيد هدية متواضعةً للإمام ؓ، فتعجب المأمون من ذلك، و عندما سأل أباه عن السبب، قال الرشيد:

«أسكت لا أم لك! فإني لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيفٍ من شيعة و مواليه، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لي و لكم من بسط أيديهم و إغنائهم»^١

١. الاحتجاج الطبرسي، ص ١٦٧ (وكان الرشيد قد أعطى لغير الأمام خمسة آلاف دينارٍ و أعطى للامام مائتا دينارٍ فقط).

٤- محكمة تاريخية

كما مر ذكر سابقاً نقل الرسول ﷺ ملكية فدك إلى فاطمة الزهراء ﷺ بعد أن نزلت الآية الشريفة و آت ذا القربى حقّه. و لم ينفرد مفسرو الشيعة في نقل هذه الرواية عن الصحابي المعروف «أبو سعيد الخدري» بل و اتفق معهم علماء الجمهور أيضاً و قد أوردنا إسناد هذه الرواية آنفاً. وضعت الحكومة التي استولت على الخلافة بعد الرسول ﷺ يدها على فدك، و أخرجت أبناء فاطمة ﷺ منها نقل هذا الأمر كل من العالم السني المعروف «ابن حجر» في كتاب «الصواعق المحرقة» و «السمهودي» في «وفاء الوفاء» و «ابن أبي الحديد» في «شرح نهج البلاغة».

قامت سيدة الاسلام ﷺ بالمطالبة بحقها عن طريقين:

الأول هو كون فدك هدية الرسول ﷺ لها، و الثاني هو أنها ميراثها من أبيها ﷺ (بعد أن رُدّت دعوى الهدية).

استشهدت سيدة النساء في المرحلة الأولى بأمر المؤمنين «علي بن أبي طالب» ﷺ. و «أم أيمن (رض)» عند الخليفة الأول، لكن الخليفة لم يقبل شهادتهما و لم يقر حقها بحجة أن الدعوى لا تثبت إلا بشهادة رجلين أو رجلاً و امرأتين.

ثم رفض مسألة «الإرث» مدعياً أن الرسول ﷺ قال:

«إنا معاشر الأنبياء لأنورث ما تركناه صدقة».

لكن و من خلال تحقيق شامل يتضح أن النظام الحاكم الغاصب قد ارتكب في عمله هذا عشرة أخطاء فاحشة، سنقوم بعرض مختصر لها و نتوكل الخوص في التفاصيل إلى محل آخر:

١- كانت فاطمة ﷺ تملك فذك، أي أنها كانت «ذو اليد»، و في رأي القوانين الإسلامية و جميع القوانين المعروفة في الوسط العقلائي العالمي فإن «ذو اليد» لا يحتاج إلى استشهاد أو تصديق على ما يملكه إلا إذا أظهرت شواهد على بطلان ملكيته.

فمثلاً إذا ادّعى شخص ملكية دار يسكن فيها، فلا يمكن إخراجها من يده ما لم يظهر دليل يُنافي إدعائه، كما لا حاجة في أن يشهد أحداً على ديمومة ملكيته، بل إن هذا التصرف (إن أراد إنجازَه بنفسه أو يوكله لممثليه) لأفضل دليل على صحة ملكيته.

٢- إن شهادة فاطمة الزهراء ﷺ لوحدها كانت كافية في هذه المسألة، لأنها معصومة بحكم الآية الشريفة: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^١، و حديث الكساء المشهور الذي نقلته كتب العامة المعتبرة و كتب الصحاح، فأبعد الله عز و جل القبح و الذنب عن النبي ﷺ و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين ﷺ، و طهرهم من كلّ معصية. فكيف يمكن أن يشكّ أو يرتاب الآخرون بادعاء مثل هذا الشخص؟

٣- إن شهادة الإمام عليّ ﷺ لوحدها كانت كافية أيضاً، فهو يتحلّى بمنزلة العصمة أيضاً، و آية التطهير و الروايات التي دلّ على هذا المعنى و

١. سورة الاحزاب، آية ٣٢.

فيرة، منها الحديث المشهور «الحق مع عليٍّ مع الحق، يدور معه حيثما دار»^١ الذي يكفيننا دليلاً على عصمته عليه السلام. إذا كيف يدور الحق حول محور وجود عليٍّ عليه السلام، لكن شهادته غير مقبولة؟

٢- تعد شهادة «أم أيمن» هي الأخرى كافية في إثبات الحق، فكما ينقله ابن أبي الحديد:

عندما جاءت فاطمة عليها السلام بأم أيمن للشهادة، قالت «أم أيمن» لأبي بكر: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله ﷺ، أنشدك بالله أليست تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة». فقال أبو بكر: بلى.

إذن فكيف تُردُّ شهادتها بعد أن علموا مقامها وهي من أهل الجنة.^٢
٥- إضافة إلى كل ما سبق، يكتفي الحاكم بتوفر القرائن المختلفة «لحسية كانت أم الشبية بها» ليقوم بالفصل في الدعوى، فهل يا ترى أن مسألة «ذو اليد» من ناحية، وشهادة الشهود الذين تكفي شهادة كل منهما في إثبات وإحقاق الحق من ناحية أخرى، لا يوفران العلم واليقين لدى الحاكم؟

٦- لم يكن حديث ميراث الأنبياء في الواقع كما صاغه وفسره الغاصبون، وإنما كان بشكلٍ ومعنى آخرين، فمصادر الحديث تنقل الحديث بالشكل الاتي «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافرٍ»^٣.

١. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢١٩.

٢. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣٤.

و هنا نستدل أن الحديث يقصد الإرث المعنوي الذي يورثه الانبياء، ولا علاقة له بالإرث المادي، و هذا هو مصداق الحديث المروي عن الرسول ﷺ في أن: «العلماء ورثة الأنبياء».

خاصة عبارة «ما تركناه صدقة» فهي حتماً لم تكن موجودة في الحديث مطلقاً، فهل يمكن أن يتحدث الرسول ﷺ بما يخالف صريح القرآن؟ إن القرآن الكريم يشهد في مواضع متعددة على توريث الأنبياء أبناءهم، و تشير آياته الشريفة بوضوح إلى أن ميراثهم لم يقتصر على الميراث المعنوي فحسب، بل و شمل الجانب المادي أيضاً.

و قد استدلت سيدتنا فاطمة الزهراء ﷺ بهذه الايات المباركة في خطبتها المعروفة التي ألقته في المسجد النبوي الشريف بين جمع من المهاجرين و الأنصار، فلم ينكر عليها أحد منهم ما تقول، كل ذلك كان دليلاً على زيف الحديث الذي ادّعه الخليفة.

٧٣- إن صحَّ هذا الحديث، فكيف لم تعرف و لم تسمع به أي من نساء النبي ﷺ، حيث أرسلن إلى الخليفة من يطالب بسهمهنَّ من ميراث الرسول ﷺ.^١

٨- إن صح هذا الحديث، فلماذا أصدر الخليفة مباشرة حكماً أمر فيه برد فدك إلى فاطمة الزهراء ﷺ، ذلك الحكم الذي سلبه الخليفة الثاني منها و مزقه.^٢

٩- إذا كان لهذا الحديث واقعية، و كان لازماً تقسيم فدك على

١. معجم البلدان الحموي، ج ٤، مادة فدك، ص ٢٣٩ شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٢٣.

٢. السيرة الحلبية في سيرة الأمين و المأمون، ج ٣، ص ٣٩١.

المستحقين باعتبارها صدقة، فلم استدعى الخليفة الثاني في زمان خلافته علياً عليه السلام و العباس - بعد فوات الأوان - و أبدى استعداداه في تسليمهما فذك كما جاء في كتب تاريخ الاسلام المشهورة.^١

١٠- ورد في كتب «الشيعة» و «السنة» المعتبرة أن سيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام غضبت على الخليفتين الأول و الثاني بعد أن منعها حقها - فذك -، و قالت لهما «لن أكلمكما بعد اليوم»^٢ و كان الأمر كما قالت إلى أن وافاها الأجل.

في حين تنقل المصادر الإسلامية المشهورة عن الرسول صلى الله عليه وآله حديثه المشهور الذي قال فيه: «من أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني، و من أرضى فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني».^٣

فهل من الممكن بعدها أن تمنع فاطمة عليها السلام حقاً تطالب به، و يتمسك بحديث يفتقد إلى الصحة و الصدق و الرجوع إليه في مقابل نص كتاب الله الذي ينص على توريث الأنبياء أبناءهم. على كل حال، لا يوجد أي مسوغ في مسألة غضب فذك، و ليس لذلك الفعل دليل معقول.

مالكية الزهراء عليها السلام من ناحية.

الشهود العدول المعتبرون من ناحية أخرى.

شهادة القرآن المجيد من ناحية ثالثة.

و من ناحية رابعة نرى الروايات الإسلامية المختلفة كلها أدلة تصدق و

١. صحيح البخاري باب فضل الخمس وكتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر، ص ٩.

٢. الإمامة و السياسة، ابن قتيبة، ص ١٤.

٣. صحيح البخاري، باب فضل الخمس وكتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر، ص ٩.

تشهد بأحقية سيدة الإسلام في فذك.
إضافة إلى كل ذلك فإن آيات المواريث عموماً تنص على أن لجميع
الناس الحق في تركة آبائهم و أمهاتهم و الأقربون. لذا لا يمكن التغاضي
عن هذا الحكم الإسلامي مادام الدليل لم يقم على نفي تلك العمومات و
هذا شاهد آخر.

٥ - حدود فدك!

إنَّ فدك - كما ذكرنا آنفاً - هي في الظاهر قرية مخضرة مثمرة قريبة من خيبر، لم تخفَ حدودها على أحد، لكن الغريب ماورد في جواب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهارون الرشيد عند ما سأله الأخير قائلاً: «حَدَّ فدكاً حتى أردّها إليك» حيث أبى الإمام عليه السلام لكن الرشيد ألحَّ عليه. فقال عليه السلام: لا أخذها إلا بحدودها. قال هارون: و ما حدودها؟ قال عليه السلام: إن حدّدتها لم تردّها. قال هارون: بحق جدك إلا فعلت؟ قال عليه السلام: أما الحد الأول فعَدَن، فتغير وجه الرشيد و قال: أيها، قال: و الحدّ الثاني سمرقند، فاربد وجهه، قال: و الحدّ الثالث أفريقية فاسودَّ وجهه، و قال: هيه، قال: و الرابع سيف البحر مما يلي الجزر و أرمينية. قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي. قال الإمام عليه السلام: قد أعلمتك أنني إن حدّدتها لم تردّها، فعند ذلك عزم على قتله^١.

١. بحار الانوار، ج ٨ ص ١٠٦.

فهذا الحديث دلالة واضحة على إرتباط قضية «فدك» «بالخلافة»، و
يبين أن المهم في الأمر كان غضب خلافة رسول الله ﷺ. وإذا أراد هارون
أن يعيد فدك فإن عليه أن يتخلى عن الخلافة، وهذا ما جعله يلتفت إلى
أن الامام موسى بن جعفر ﷺ إذا شعر بالقوة سيزيله عن الخلافة، و لذلك
عزم الرشيد على قتل الامام ﷺ.

استنتاج

إن قصة «فدك» المؤلمة التي تحكي أحداث قرية صغيرة عانت الكثير عبر تاريخ الإسلام، تشير بوضوح إلى المؤامرة الكبيرة التي هدفت إلى إبعاد أهل بيت النبوة ﷺ عن منصب الخلافة الإسلامية و تجاهل مقام إمامتهم و ولايتهم، مؤامرة شملت مختلف الأبعاد.

لقد سعى السياسيون منذ البدء خصوصاً في عصر «بني أمية» و «بني العباس» أن يسدلو الستار على أهل بيت النبوة ﷺ، و يسلبوهم كل ميزة تؤدي إلى تفوقهم و انتصارهم، بل لم يتوانوا (عند لزوم الأمر) في الاستفادة من عنوان و اسم أهل البيت ﷺ في تحقيق مآربهم، في حين رفضوا ردّ الحق إلى أصحابه!

نعلم جيداً أن حجم الدولة الإسلامية قد اتسع في عصر «بني أمية» و «بني العباس» كما زادت ثرواتها و كثرت ذخائر بيت المال بشكل قلّ مثيله في تاريخ العالم إن لم ينعدم، و رغم أن فدك لم تكن لتشكّل رقماً في مقابل كلّ ذلك، إلا أن الدوافع الشيطانية لم تسمح لهم برد الحق إلى أصحابه، بل والكف عن مواصلة التلاعب بهذه القضية.

و في الحقيقة، تعتبر قصة فدك وثيقة تاريخية إسلامية تثبت مقام آل بيت النبي ﷺ الرفيع من ناحية، و تشير إلى ظلامتهم من ناحية أخرى،

وتكشف الغطاء عن المؤامرات التي حاكها الأعداء لهم من ناحيةٍ ثالثة.
اللهم اجعل محيانا محيا محمدٍ و مماتنا محمدٍ و آل محمدٍ - صلى الله
عليه و آله و سلم - واحشرنا في زمريهم و العن أعدائهم أجمعين.

[illegible]

الخطبة التاريخية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام

ساد العالم الإسلامي بعد وفاة الرسول هزة عنيفة، وكان محور هذه العاصفة يدور حول منصب «الخلافة»، ثم انتقل إلى كل ما يرتبط بهذا المنصب، منها قرار مصادرة أرض «فدك» التي وهبها الرسول ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام استناداً إلى مصالح مهمة، فقد صودرت من قبل النظام الحاكم^١.

لاحظت فاطمة عليها السلام أن هذا التجاوز الواضح و ما رافقه من تجاهلٍ

١. «فدك» كما قلنا هي واحدة من القرى المعمورة التي تقع على أطراف المدينة المنورة، و يسكنها جمع من اليهود و هم كسائر يهود المدينة و خيبر في التأمر على الإسلام. في السنة السابعة للهجرة و بعد أن تساقطت قلاع خيبر الواحدة تلو الأخرى أمام جنود الإسلام و بعد أن تحطمت قدرة اليهود المركزية لجأ سكان «فدك» للمصلح مع النبي ﷺ و التسليم له، فقد أعطوه نصف الأرض و البساتين و احتفظوا بالنصف الآخر. قام الرسول ﷺ في حياته - طبقاً لما نقله مؤرخوا و مفسروا الشيعة و السنة - بإعطاء فدك لفاطمة عليها السلام، لكن غاصبي الحكومة الإسلامية بعد الرسول ﷺ قاموا بمصادرة تلك الأرض استناداً إلى حجج باطلة و من ثم ضمها إلى بيت المال - و في الواقع ضمها إلى أموالهم و منافعهم الشخصية - خوفاً من نمو القدرة الاقتصادية لزوجة أمير المؤمنين علي عليه السلام و بالتالي منافستهم سياسياً على الخلافة، علماً أنهم عمدوا إلى تشتيت أصحاب علي عليه السلام. إن قصة فدك و الحوادث المختلفة الأخرى التي جرت في صدر الإسلام و المرحلة التي تلت ذلك لهي من أعم و أشد ما أفرزه التاريخ الإسلامي المأ و عبرة و مآسي. و هذا ما ورد تفصيله في فصل من هذا الكتاب و بشكلٍ منفصل.

للأحكام الإسلامية في هذا الأمر سيجرف الأمة الإسلامية إلى انحراف كبير عن تعاليم الإسلام و سنة الرسول الكريم ﷺ و الاندفاع نحو تقاليد الجاهلية، من ناحية أخرى فإنها مقدمة لفرض إقامة جبرية على علي أمير المؤمنين عليه السلام و محاصرته و أصحابه اقتصادياً، لذا بدأت بالدفاع عن حقها أمام غاصبي «فدك»، و طالبت بكل وجودها بإعادة حقها السليب، لكن النظام الحاكم رفض أداء حقها بحجة باطلة و حديث موضوع «نحن معاشر الانبياء لانورث».

أقبلت سيدة نساء العالمين مع لمة من نساء بني هاشم إلى مسجد النبي ﷺ لتعلن عن رأيها و ظلامتها أمام جمهور المسلمين، و سادات المهاجرين و الانصار حتى تتم حجتها، و تكشف حجج هذا الغصب العجيب و المصادرة الظالمة من قبل جهاز النظام، إضافة إلى فضح صفوف المدافعين عن سياسة التجاوز و تمييزهم عن الأمناء الحقيقيين للإسلام.

غير مكرثة للضجة المفتعلة بهذا الخصوص و ماستفرزه هذه الفضيحة الكبيرة من نتائج، فقد استمرت في تصميمها، و احتجت على «غصب فدك» من خلال خطبة غراء ألقته أمام المهاجرين في المسجد مزيلة الستار عن كثير من الحقائق.

كانت هذه الخطبة بمثابة تحذير مروع لأولئك الذين سعوا إلى حرف الحكومة الإسلامية و خلافة الرسول ﷺ عن مسيرها الحقيقي و تضييع تلك الجهود التي تحملها لأكثر من عقدين.

كانت خطبتها «ناقوس الخطر» لأولئك الذين ينبض قلبهم بعشق الاسلام، و يخافون على مستقبل هذا الدين الطاهر.

و«الإنذار العنيف» لأوثك الغافلين عن تغلغل المنافقين و نفوذهم في الجهاز السياسي بعد الرسول ﷺ، و المتجاهلين لأعمالهم المبطنة.

«الصرخة الأليمة» في حماية عليٍّ أمير المؤمنين ﷺ و وصيِّ رسول رب العالمين ﷺ، حيث تجاهل بعض السياسيين كلَّ ما ورد فيه من آيات قرآنية و توصياتٍ للرسول ﷺ.

«إحقاق الحق المهضوم» لتوعية كل من عُصب حقه و هو يفضل المسالمة و السكوت على الانتفاضة و التصدي.

«الصيحة المؤثرة» التي دوى صداها في كلِّ مكان، و بقيت آثارها على مر العصور و القرون.

«الزلزال العميق» الذي أيقظ أمواجه المتلاطمة تلك الأرواح النائمة - ولو مؤقتاً -، و أظهر لها طريق الحق.

و أخيراً فقد كانت «الصاعقة المميتة» التي حلت على رؤوس أعداء الإسلام و أخذتهم بغتة، أما عمق التحليلات التي أوردتها الصديقة الطاهرة بشأن أعقد المسائل المرتبطة بالتوحيد و المبدأ و المعاد فانما تكشف عن بعد نظرها وسعة رؤيتها ﷺ.

إن ما تضمنته خطبة ابنة الرسول الكريم ﷺ من تفسيرٍ للقضايا العقائدية و السياسية و الاجتماعية لهو دليل واضح و دامغ على أن تلك الصديقة ليست متعلقة بزمان دون آخر.

الملاحم الثورية التي جرت على لسان فاطمة ﷺ في هذه الخطبة، تدل على أنها سيدة فدائية، مجاهدة، و زعيمة صالحة للمقاتلين في سبيل الله و المجاهدين في سبيل الحق.

إن لحن سيدة النساء في هذه الخطبة الذي ينفذ إلى أعماق روح

الإنسان وقلبه يبين حقيقة مهمة و هي أنها محدثة بليغة، و خطيبة مقتدرة، كزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد كانت هذه الخطبة الغراء على غرار خطب علي عليه السلام في نهج البلاغة و سارت معها جنباً إلى جنب حتى أظهرت الايام أن ابنتها زينب قد ورثت ذلك من أبيها و أمها معاً، حيث ألفت بخطبها في سوق الكوفة و مجلس يزيد الرعب في نفوس بني أمية المجرمين، و زلزلت أركان دار الامارة و نثرت بذور الثورة في قلوب أهل الكوفة و الشام ضد هذه الحكومة الجائرة الجبارة.

أفرزت خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام العديد من الدروس، فما بينته في أدق مسائل الفلسفة و أسرار الأحكام، و تحليل تأريخيّ سياسيّ للإسلام، و مقارنة بين العرب في زمن الجاهلية و بين حياتهم بعد ظهور الإسلام تعتبر دروساً عظيمة المعنى، يستفيد منها كل من يسيّر على خطى الحق مجاهداً في سبيل الله.

و الاهم من ذلك أن فاطمة عليها السلام أفصحت عن موقف آل بيت النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى النظام الحاكم، و برئت ساحة الإسلام المقدسة من الظلم و الجور الذي ارتكب باسم الإسلام، و لو انحصرت فائدة الخطبة في هذا الأمر، لكان كافياً!

أسانيد ووثائق الخطبة

تعد هذه الخطبة واحدةً من الخطب المشهورة التي نقلها كبار علماء الشيعة و السنة بسلسلةٍ كبيرةٍ من الاسانيد المعتبرة، خلافاً لما يتصوّره البعض من أنها ضعيفة أو حتى عديمة السند. و من بين المصادر التي أوردت هذه الخطبة هي:

١- أورد عالم أهل السنة المشهور ابن أبي الحديد المعتزلي في توضيح رسالة «عثمان بن حنيف» في الفصل الأول من «شرح نهج البلاغة» و ثائقاً مختلفةً عن خطبة سيدة الإسلام فاطمة عليها السلام، و يصرح قائلاً بأن الاسانيد التي أوردتها لهذه الخطبة ليست مأخوذةً من أيٍّ من كتب الشيعة.

ثم يشير إلى كتاب «السقيفة» لـ «أبوبكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري» الذي يعدُّ واحداً من كبار محدثي أهل السنة بأنه نقل هذه الخطبة في كتابه من عدة طرق - و أورد ابن أبي الحديد جميع تلك الطرق في شرح نهج البلاغة، و لغرض الاختصار فقد صرفنا النظر عن ذكرها -

بعدها يضيف، عندما عازمت الحكومة على غصب «فدك» أقبلت

فاطمة عليها السلام إلى المسجد ما تخرم مشيتها مشية رسول الله، و هناك ألفت خطبتها الغراء.

ثم ينقل ابن أبي الحديد تلك الخطبة المشهورة و المعروفة و ان كان هنالك إختلاف طفيف في عبارات هذه الخطبة في بعضى النقول.

٢ - أورد «علي بن عيسى الأربلي» هذه الخطبة في كتاب «كشف الغمة» نقلاً عن كتاب «السقيفة» لأبى بكر أحمد بن عبد العزيز.

٣ - أشار «المسعودي» في «مروج الذهب» إلى الخطبة بشكلٍ إجمالي.
٤ - «السيد المرتضى» العالم و المجاهد الشيعي الكبير أورد هذه الخطبة في كتابه «الشافى» نقلاً عن عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥ - ذكر المحدث المعروف «المرحوم الصدوق» مقتطفاتٍ منها في كتاب «علل الشرائع».

٦ - روى الفقيه المحدث المرحوم الشيخ «المفيد» قسماً من هذه الخطبة.

٧ - أورد «السيد بن طاووس» قسماً منها في كتاب «الطرائف» نقلاً عن كتاب «المناقب» لـ «أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني» و هو من مشاهير أهل السنة الذي نقلها بدوره عن عائشة.

٨ - و أوردتها المرحوم «الطبرسي» صاحب كتاب «الاحتجاج» بصورة
مرسلة^١

على كل حال فإن هذه الخطبة التاريخية هي واحدة من خطب أهل البيت عليهم السلام المعروفة، و طبقاً لما نقل فإن كثيراً من الشيعة المخلصين

١. بحار الانوار العلامة المجلسي، ج ٨، ص ١٠٨ الطبعة القديمة.

أوصوا أبناءهم بحفظ هذه الخطبة، حتى لا يستقر عليها غبار النسيان
بمرور الزمن، و لا تكون محطاً للتجاهل و التصغير من قبل الأعداء
المغرضين.

والاولى أن يحفظها اليوم جيل الشباب الشجاع و ينقلها لأجيال الغد.

المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام

تتضمن هذه الخطبة الغراء التي قلّ نظيرها سبعة محاور، و تدور حول سبعة مباحث ينشد كل منها هدف واضح، و يجب دراسة كلّ منها بصورة مستقلة.

المحور الأول:

تحليل عميق و مختصر لمسائل التوحيد و صفات الخالق و أسمائه الحسنی و هدف الخلقة.

المحور الثاني:

التذكير بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله السامية و صفاته و مسؤولياته و أهدافه.

المحور الثالث:

التحدث عن أهمية القرآن المجيد و عمق تعاليم الإسلام، و فلسفة الأحكام وأسرارها، و الارشادات و النصائح في هذا المجال.

المحور الرابع:

من خلال تعريف نفسها، تقوم سيدة النساء عليها السلام بالإفصاح عن خدمات أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه الأمة، و هنا تذكّرهم فاطمة الزهراء عليها السلام بعصر الجاهلية القريب ليكون لهم عبرة، و من ثم مقارنته مع وضعهم بعد الإسلام، و اتخاذ درس من هذا الاختلاف و التغيير.

المحور الخامس:

تفصح عن الأحداث التي تلت وفاة الرسول الكريم ﷺ، و سعي حزب المنافقين لمحو الإسلام.

المحور السادس:

تتحدث عن الحجج الواهية التي اتخذوها ذريعةً في غضب «فدك»، و من ثم تفنيد تلك الحجج.

المحور السابع:

و من أجل أن تُتِمَّ حجتها تقوم سيدة النساء ﷺ باستنصار الأنصار و أصحاب الرسول ﷺ المخلصين، و تنهي خطبتها ببشارتهم بالعذاب الإلهي.

المحور الأول توحيد الله وصفاته وهدف التكوين

النص:

الحمد لله على ما أنعم و له الشكر على ما ألهم و الثناء بما قدم، من
عموم نعم ابتدأها، و سبوغ آلاء أسداها، و تمام منن والها!
جم عن الإحصاء عددها، و نأى عن الجزاء أمدّها، و تفاوت عن
الإدراك أبدّها، و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها و استحمد إلى
الخلايق بأجزالها، و ثنى بالندب إلى أمثالها.
و أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص
تأويلها و ضمن القلوب موصولها، و أنار في الفكر معقولها.
المتنع من الأبصار رؤيته، و من اللسن صفته، و من الأوهام كيفيته.
إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلة
امتثلها.

كونها بقدرته و ذراها بمشيئته من غير حاجة منه إلى تكوينها،
ولا فائدة له في تصويرها إلا تثبيتاً لحكمته، و تنبيهاً على طاعته، و
إظهاراً لقدرته، و تعبداً لبريته و إعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب على
طاعته و وضع العقاب على معصيته، زيادةً لعباده عن نقمته و حياشةً لهم
إلى جنته.

المناقشة:

في القسم الأول للخطبة عدداً من المسائل المهمة الجديرة بالبحث:
 ١- الالتفات إلى الحقيقة التي نعيشها، وهي أَنَّ نِعَمَ الله جل و علا قد أحاطت بكلّ وجودنا حتّى غرقنا فيها، وهذا الأمر يحيي فينا حسّ الشكر و الثناء بل و يجرنا إلى معرفة ذاته الطاهرة.

و هذا ما يعتمد عليه علماء علم الكلام - العقائد - تحت عنوان «وجوب شكر المنعم» في مسألة وجوب معرفة الله سبحانه و تعالى.

٢- إذا كان الله سبحانه و تعالى قد دعى عباده إلى شكر نعمه، فليس ذلك من باب الحاجة له، بل ليكتسب العباد من خلاله - الشكر - لياقةً أكبر و درجةً أعلى و بالتالي تشملهم نعماً أوفر.

٣- إنّ العباد عاجزون عن أداء حق الشكر لله، لأن التوفيق للشكر هو نعمةٌ بحد ذاته، كما أن آلات الشكر من - فكرٍ و يدٍ لسان - هي أيضاً من نِعَمِ الله، لذا ليس لهم إلا الاعتراف بالعجز. «و كيف أؤدي حق شكرك و شكرك يحتاج إلى شكر».

٤ - الإخلاص هو روح التوحيد، تطهير الروح من دَنَسِ الشرك بالله، و منح القلب كرهينةً لحبه، و الخضوع و الخنوع لأمره و خلاصة القول تجاهل و نبذ كل ما لا يُرضي الله و نسيان كل شيءٍ سواه!

٥ - في الواقع أن التوحيد قد أودع فطرة الإنسان منذ البدء و يشع هذا النور الإلهي في أعماق كل إنسان، و كل واحدٍ منهم يسمع من باطنه نداء «الله اكبر»، و لهذا فعند ما يتضاعف البلاء و تتمزق أستار الغفلة يظهر هذا الإشعاع بوضوح أكثر من أي وقتٍ آخر، و يجذب الجميع لا إرادياً نحو أنفسهم مرددين «لا إله إلا هو».

٦- لا يمكن درك كنه ذاته حتى بالتفكير العميق، حيث:
 «كُلَّمَا مَيَّزُ تُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ
 إِلَيْكُمْ»^١ كما لا يمكن معرفة كنه صفاته، لذا يجب أن نعتز جميعاً بأن:
 «وَمَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ»^٢
 «مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»^٣.

٧- تعد مسألة الخلق و التكوين البدائي واحدةً من المسائل المهمة، فلم تكن هناك مادةً مصنوعةً من قبل حتى يخلق الله منها هذا العالم، بل أن الخلق و التكوين قد تم من العدم، و قد اختصت هذه الخلقة بذاته الطاهرة حتى صعب على البعض تصور ذلك.

٨- المسألة المهمة الأخرى في أمر الخلق و التكوين هي أن المصورين يعتمدون دائماً في تصويرهم و رسوماتهم على ما يستلهمونه من الطبيعة، و أحياناً يقومون بخلط أشكالٍ مختلفةٍ ليبدعوا في صنع شكلٍ جديد، أما الله سبحانه و تعالى فهو المبدع الذي صوّر العالم و جسّمه دون تحضيرٍ مسبقٍ أو تمثيلٍ قبلي.

٩- البحث المهم الآخر في هذا المحور من الخطبة التأريخية لسيدة النساء (عليها السلام) هو الغنى المطلق لله عن كل شيء.

من البديهي أن الوجود اللامتناهي من جميع النواحي للذات المقدسة يجعلها غنيّة مطلقاً عن كلّ نوعٍ من أنواع الحاجة. لأن «الحاجة» تدل على «النقص» و النقص ينحصر في الموجودات التي يمكن تصوّرها،

١. أربعين الشيخ البهائي، بحار الانوار «للعامة المجلسي»، ج ٦٩، ص ٢٩٣-٢٩٢.

٢. أربعين الشيخ البهائي، و بحار الانوار «للعامة المجلسي»، ج ٦٩، ص ٢٩٣-٢٩٢.

٣. مستدرک الوسائل المحدث النوري، ج ١، ص ١٦.

لا في ذات الحق الغير متناهية.

١٠ - و أخيراً فإن المسألة المهمة الاخرى التي طُرحت في هذا المحور هي «هدف الخلق»، حيث تلخص سيدة الإسلام ذلك في جُملي قصيرةٍ عظيمة المعنى:

أ - تبين و توضيح الحكمة الإلهية اللامتناهية.

ب - دعوة العباد إلى طاعته.

ج - الإشارة إلى قدرته المطلقة.

د - دعوة العباد إلى عبوديته.

هـ - منح أنبيائه القوة.

هذه هي الأهداف التي بيّنتها فاطمة الزهراء عليها السلام في مسألة الخلق، والمُلّفت للنظر أن هذه الأهداف ملازمةٌ لبعضها البعض، فعند ما يرى العبد آثار حكمة الخالق و قدرته في عالم الوجود الواسع ينقاد إلى طاعته، و يتوجه إلى عبوديته و ينعقد بمدارج كماله.

و من ناحيةٍ أخرى، يكون للأنبياء نفوذ أكثر و أعمق في قلوب الناس عند ما يكون حديثهم مرتكزاً على نظام خلق عالم الوجود، فتسهل عليهم مسألة الهداية.

و عليه فلم يخلق الله الكون حتى يستفيد، بل إن الهدف هو أن يوجد على العباد، إرادته في أن ينتهجوا سبيل الهداية، فدعاهم إلى قربهِ، وليسيروا على نهجه فيستحقوا المزيد من كرمه و لطفه.

المحور الثاني
منزلة الرسول الكريم ﷺ السامية.
خصائصه وأهدافه

النص:

و أشهد أنّ أبي محمداً عبده و رسوله، إختاره و انتجبه قبل أن أرسله،
و سمّاه قبل أن اجتبله، و اصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة
و بستر الأهويل مصونة، و بنهاية العدم مقرونة.
علماً من الله تعالى بمائل (بمآل) الأمور، و إحاطة بحوادث الدهور، و
معرفة بمواقع المقدور.
ابتعثه الله إتماماً لأمره و عزيمةً على إمضاء حكمه و إنفاذاً لمقادير
حتمه.

فراى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، (و) عابدةً لأوثانها،
منكرةً لله مع عرفانها.
فأنار الله بمحمد ﷺ ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها و جلى عن
الأبصار غممها.

و قام في الناس بالهداية و أنقذهم من الغواية و بصّرهم من العماية.
و هداهم إلى الدين القويم و دعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضة الله

إليه قبض رُفّةٍ و اختيارٍ و رغبةٍ و إيثارٍ، فمحمّدٌ ﷺ عن (من) تعب هذه الدار في راحةٍ، قد حُفّ بالملائكة الأبرار، و رضوان الرب الغفار، و مجاورة الملك الجبار.

صلّى الله على أبي نبيّه و أمينه على الوحي و صفيه و خيرته من الخلق و رضيّه و السلام عليه و رحمة الله و بركاته.

التفسير:

تشير مولتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) في هذا المحور من خطبتها إلى جزء من المسائل المهمة المتعلقة بشخص رسول الله ﷺ، منها:

١- تتحدث عبارتها الأولى عن جوهر ذات الرسول ﷺ المقدسة الشيء الذي أشير إليه في سائر الأحاديث الإسلامية أيضاً و هنا يبرز بحث مهمّ و هو، هل تختلف النشأة التكوينية للرسول ﷺ كلياً عن الآخرين؟ و إذا كان كذلك فإن عصمته تكون جزءاً من مستلزمات تلك الذات، و ليس في هذا من فضل.

و إذا كان جوهره لا يختلف عن الآخرين، إذاً فما الهدف الذي تبغيه مولتنا من وراء هذه التعابير؟

الحقيقة هي أن ميزات و مواهب الأنبياء و الأئمة تنقسم إلى قسمين، فبعضها ذاتية و بعضها الأخرى مكتسبة، و بالتدقيق في هذا التركيب الخاص فقد أجيب على كثيرٍ من التساؤلات.

وبتعبيرٍ آخر، فإن الرب الحكيم الذي حمّل نبيه أعباء تلك المهمة العظيمة منحه استعداداتٍ ذاتية: فقد أعطاه جوهرًا ممتازاً، ذكاءً متوقداً، إرادةً حديديةً، عزماً راسخاً، و علماً و فيراً و تشخيصاً صائباً، و إلا فلن

يتمكن شخصٌ ضعيفٌ من القيام بهذه الرسالة الكبيرة و سينتفي غرضها. وهذا الأمر لا يتّصف إلا بالعدالة، فقرة عضلات الساعد تفوق بكثير قوة عضلات جفن العين، لأن وظيفة الأخيرة رفع و خفض جفن العين، في حين وظيفة الأخرى رفع الأحمال العظيمة و إنجاز الأعمال الثقيلة، و خلاف ذلك هو خلافٌ للعدالة.

و مع هذا فإن الجوهر الذاتي للرسول ﷺ لم يسلب منه الإرادة و الاختيار، فهو أيضاً له القدرة على المعصية «و العياذ بالله»، علماً أنه لا يرتكب المعصية.

لا تتعجب، فالكثير من الناس العاديين يتمتعون بنفس هذه الحالة بالنسبة لبعض المعاصي، فمثلاً يستطيع كل امرئ أن يظهر عارياً كما ولدته أمه أمام جمعٍ من الناس، أو أن له القدرة على النوم عارياً في ثلوج ليلة شتاءٍ قارصة، ولكن في نفس الوقت لاتصدر هذه الأفعال إلا من المجانين.

يتمتع الأنبياء و الأئمة المعصومون بنفس هذه الحالة بالنسبة لجميع المعاصي.

و هذا يُلَفَت النظر إلى المسؤولية الكبيرة التي يتحملها المعصومون تجاه جوهرهم الطاهر، فلا يُقبل منهم أبداً ترك العمل بالأولى. و تعبیر فاطمة ؑ الذي تقول فيه «علماً من الله تعالى بمائل الأمور و إحاطةً بحوادث الدهور» إنما يُشير إلى تلك النقطة، و هي أن الله يعلم بثقل الرسالة التي ستُلَقَى على عاتق النبي ﷺ لذا جعل جوهره بهذا المستوى الممتاز.

٢ - جاء الرسول ﷺ لإتمام الأوامر الإلهية، و تنفيذ أوامره التكوينية.

تشير هذه العبارة إلى مسألة ختم النبوة بالرسول الكريم ﷺ، وهي أيضاً إشارة إلى مسألة إتمام المواهب التكوينية عن طريق التشريع والأحكام الإلهية.

٣ - تعزج ابنة رسول الله ﷺ في هذا المقطع من حديثها على الوضع المأساوي للأمم قبل بعث الرسول ﷺ و كيفية ابتلائهم بظلمة الخرافات، المجوس في تعظيمهم للنار، و العرب في عبادتهم للأصنام، و سائر الملل في ابتلائها بنوعٍ من الانحراف و التفرقة.

و ما أعظم قولها «مُنْكَرَةٌ لله مع عرفانه» الذي تشير فيه إلى مسألة «التوحيد الفطري» المكنون في كل البشر.

٤ - تشير ﷺ في قسم آخر من بيانها الرائع إلى بركات وجود النبي «ص» و آثار قيامه، و كيف أبعد عن أفق أفكارهم سحب الأوهام السوداء المظلمة، و أزال عن قلوبهم صداً الجهل و الخرافات، و مَرَّق الغشاوة التي حجبت أبصارهم عن مشاهدة الحق، و دعاهم إلى «الصراط المستقيم» و الحد الأوسط الذي يفصل بين الإفراط و التفريط.

و من أجل فهم و درك عمق هذا الحديث، يجب إجراء مقارنة دقيقة بين وضع الناس في عصر الجاهلية و وضعهم بعد ظهور الإسلام، حتى يتضح الواقع الذي بيّنته سيدة الإسلام ﷺ في خطبتها.

٥ - من المسائل التي يجدر الإشارة إليها في هذا المقطع من خطبة سيدة النساء ﷺ التاريخية هي الموت الكريم - أو العزيز - للرسول ﷺ: ذلك الذي كبلت روحه المتألقة بقيود الجسد في هذه الدنيا الفانية، و بعد أن أدى الرسالة، و أتمَّ المسؤولية، كسّر تلك القيود محلاً نحو الحبيب، مرفراً في فئائه، أخذاً مكانه بين ملائكة السماء المقربين!

المحور الثالث كتاب الله و فلسفة الأحكام

النص:

ثم التفتت ﷺ إلى أهل المجلس و قالت:
أنتم عباد الله نُصِبُ أمره و نهيه، و حملة دينه و وحيه، و أُمْناء الله على
أنفسكم، و بُلغاؤه إلى الامم.
و زعيم حق له فيكم، و عهدٌ قدّمه إليكم.
و بقيةٌ استخلفها عليكم كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور
الساطع، و الضياء اللامع، بينةٌ بصائرهِ، منكشفةٌ سرائره، متجليةٌ ظواهره،
مغبطٌ به أشياعه، قائدٌ إلى الرضوان اتّباعه، مؤدٌّ إلى النجاة استماعه، به
تُنال حجج الله المنورة، و عزائمه المفسرة، و محارمه المحذرة، و بيناته الجالية
و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة و رُخصه الموهوبة و شرايعه
(شرائعه) المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهاً لكم عن
الكبر، و الزكاة تزكيةً للنفس، و نماءً في الرزق، و الصيام تثبيتاً للإخلاص،
و الحج تشييداً للدين، و العدل تنسيقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملة،
و إمامتنا أماناً من الفرقة (الفرقة)، و الجهاد عزّاً للإسلام، و الصبر معونةً

على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، و برّ الوالدين وقايةً من السخط، و صلة الأرحام مُنمأة للعدد، و القصاص حقاً للدماء والوفاء بالندى تعريضاً للمغفرة و توفية المكاييل و الموازين تغييراً للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، و اجتناب القذف حجاجاً عن اللعنة و ترك السرقة إيجاباً للعفة و حرّم الله^١ الشرك إخلاصاً له بالرّبوبية.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^٢
و أطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ»^٣

التفسير:

تُشير سيدة الإسلام ﷺ في هذا القسم من الخطبة إلى أمورٍ مهمّةٍ أيضاً، منها:

- ١ - تعد مسؤولية المسلمين في إبلاغ الرسالة و نشر الإسلام في العالم، والدفاع عن قوانين و تعاليم و قيم الدين الحنيف من المسؤوليات الخطيرة التي لو تقاعس المسلمون عن أدائها كان حقاً عليهم أن ينتظروا العقاب والجزاء الإلهي، و أن يطردوا من ساحة رحمته الواسعة.
 - ٢ - نهبت إلى عظمة القرآن على أنه كتاب ناطق و نور جلي وضوء مشع، حارب و بشدة ظلمات الجهل و التعصب و الخرافات.
- ذلك الكتاب الذي ظاهره الجمال و النور، و باطنه العبرة و المعنى

١. جاء في نسخة أخرى «حرم الشرك».

٢ - سورة آل عمران، آية ١٠٢.

٣ - سورة فاطر، آية ٢٨.

الغزير، و أدلته مقنعةً منجيةً.

ذلك القائد الذي يضمن لتابعيه النجاة، حيث دعاهم إلى جنةٍ أزلية. فهو قائد النجاة الذي بيّن بمنطقه الفصيح أدلة التوحيد، و ثبت مبادئ العقيدة ببراهينه النيرة، و أفصح عن البرامج العملية التي يحتاجها المرء في طريق تكامل الإنسانية، فشخص «المباح» من «المحظور»، «الجيد» من «الرديء» و «الحق» من «الباطل».

٣ - أبدعت في تبيان فلسفة الأحكام من خلال عباراتٍ قصيرة، فبدأت بالإيمان حتى الوفاء بالندى، و من التوحيد حتى ترك البخس في الميزان، فوصفت كلاً منها بجملةٍ و مقوله. فما أحلى تعبيرها «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك».

يتضح من هذا التعبير أنّ حقيقة معرفة الله و توحيدة مكنونة في فطرة الإنسان، لهذا جاء الإسلام ليطهره من الملوثات العرضية التي تنتج عن طريق الشرك، كما تغسل الثياب البيض بعد آتساخها ليظهر لونها الأصلي.

شرع الله «الصلاة» ليوطن بها روح التواضع في الناس، و يسحب المتكبرين من منصة الغرور، عن طريق الركوع و السجود، و الدعاء في حضرة الخالق.

«الزكاة» تكون سبباً في تحرير روح الإنسان من أسر الدنيا و تعلقه بزخرفها و أموالها، و تنمية ثروات الأمة من خلال تعزيز البنية المالية للمحرومين.

«الصيام» يجعل الإنسان مسيطراً على هوى نفسه، و يثبت فيه روح الإخلاص، و يضيف على أغصان وجوده براعم و زهور التقوى.

«الحج» ذلك التجمع الإسلامي العظيم الذي تثبت فيه أسس الإسلام، و تعزز فيه قدرات المسلمين في شتى المجالات الفكرية و العلمية و العسكرية و السياسية.

«العدالة الاجتماعية» تغسل الأحقاد من القلوب، و تزيل الاضطرابات و تقر التنظيم و عن طريق قبول قيادة الهداة المعصومين، يمنح الله المسلمين نظاماً اجتماعياً سالماً منتهجاً خط التوحيد، و يبعد عنهم النفاق و التفرقة.

كذلك في مسائل الجهاد و الصبر و الاستقامة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ما يتعلق بمسائل القصاص و الالتزام بالتعهدات، و محاربة من يبخس الميزان و طهارة الحجور من الفجور و ترك شرب الخمر، فقد أشارت سيدتنا إلى كل ذلك مبينة آثار و علاج كل منها.

٥ - تعود سيدة الإسلام ﷺ مرة أخرى إلى مسألة مسؤولية المسلمين تجاه القرآن المجيد و الإسلام، و تدعوهم إلى التقوى، مذكرة إياهم بعواقب الأمور، حيث تصرّ عليهم بمراقبة أعمالهم حتى يودعوا دار الفناء و هم مسلمون!.

كونوا على حذر و إعملوا ما يجعلكم تموتوا مسلمين! نوروا أرواحكم و قلوبكم بنور العلم و المعرفة، لأن العلماء فقط يشعرون بالمسؤولية و يخافون الله سائرين على خط التقوى.

المحور الرابع إعلان موقفها من النظام الحاكم

النص:

ثم قالت أيها الناس إعلموا أنني فاطمة، و أبي محمد ﷺ أقول عوداً و
بداً و لا أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً.
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ^١.
فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، و أخا ابن عمي دون
رجالكم، و لنعم المعزي إليه ﷺ.
فبلغ بالرسالة صادعاً بالندارة، ماثلاً عن مدرجة المشركين ضارباً
ثبجهم، آخذاً بأكظامهم داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعدة الحسنة،
يكسر الأصنام و ينكت الهام، حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتى تفرى
الليل عن صبحه، و أسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرست
شقاشق الشياطين، و طاح و شيط النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق و
فهتف بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص.

١. سورة البراءة، آية ١٢٩.

و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، و موطيء الأقدام. تشربون الطرق، و تقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يخطفكم الناس من حولكم.

فأتذككم الله تبارك و تعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا و التي، بعد أن مُنيَ بهم الرجال، و ذُوبان العرب و مردة أهل الكتاب كلما أو قدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاعرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفأ حتى يطاء صماخها بأخمصه، و يخدم لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحا و أنتم في رفاهية من العيش، و ادعون فاكهون، آمنون تتربصون بنا الدوائر، و تتوكفون الأخبار، و تنكصون عند النزال، و تفرون عند القتال.

التفسير:

تضمن هذا القسم أيضاً حقائق كبيرة:

١ - بضعة النبي

تقوم بكشف هويتها للحاضرين قبل كل شيء، و تفرغ ما بأيديهم من حجج و أعداء، حتى لا يدعي أحد باني لم أعرف بنت النبي ﷺ، و إلا سارعت لنصرتها.

تركز بشكل خاص على نسبتها للنبي ﷺ، و تتكلم عن ارتباطها بعلي عليه السلام، ثم تؤكد على أن ما أنطق به هو عين الحقيقة، لا أتحدث جزافاً، و لا ينطق لساني بغير حساب ولو بكلمة، فاستمعوا جيداً لما أقول، و عوا مسؤوليتكم العظيمة تجاه هذه الحادثة!

٢ - الألم العميق

بعدها تذكر بعلاقة رسول الله ﷺ بهم وكيف كان يتألم لآلامهم وأنه كان شريكاً لهم في غمومهم، مستندةً على الصفات الخمسة التي وصف القرآن المجيد نبيه بها في إحدى آياته الشريفة:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ»^١

تلك الصفات التي شاهدها و عرفها الأصحاب في رسول الله ﷺ.

٣ - الجهود الشاقة للنبي ﷺ

ثم تذكر بالمعاناة الجسمية التي مرت بالرسول ﷺ وكيف أنه قام منفرداً بإبلاغ رسالة ربه العظيمة، دون أن يجد الانحراف سبيلاً إلى نفسه، مرغ أنوف المتعنتين بالتراب، و حطم أدمغة المتكبرين، و كان سلاحه المنطق و الدليل و الموعظة و الحكمة لمن طلب الحق و استقصى عنه، إلى أن كسر شوكة المشركين، و دمر معابد الأصنام، و تفرق أعداء الله، فانزالت الظلمات و شغَّ النور، و فرت الخفافيش، و تمكن جمع من الناس أن يرددوا نغمة التوحيد «لا إله إلا الله» علناً في ديار الكفر.

٤ - الماضي المشين

تقوم فاطمة الزهراء عليها السلام بتذكيرهم بذلك اليوم الذي كانوا فيه مجموعةً

١. سورة البراءة، آية ١٢٩.

مؤمنة صغيرة تتصارع في وسط طوفانٍ صعبٍ و موحش، فمن ناحية تداعب وسوسات مراحل الشرك و عبادة الأصنام مخيلاً تكم أحياناً، و تجرکم إلى شفا جرف نار جهنم، و من ناحية أخرى فإن أعدائكم الأقوياء الظالمين قد أحاطوكم من كلِّ جانب، يتربصون بكم الدوائر ليسحقوكم بأيديهم و أرجلهم بطرفة عين، و كنتم تحت حصارٍ رهيب، ليس لكم إلا الماء الآسن و الغذاء الرديء، تخافون مصيركم المجهول.

لكن، شاء الله أن يكسر أسنان هؤلاء الذئاب المصاصين للدماء، و يضرب رؤوس هذه الأفاعي بالحجر، و يسلط هذه الفئة القليلة المستضعفة عليها، و هو على ما يشاء قدير فعال لما يريد.

لم يمضِ وقت حتى خمدت نيران الفتن، و سكنت الأعاصير، و فرت الغفارت، و اختفى اللصوص و قطاع الطرق الذين كانوا يستفيدون من ظلمات ليالي الجاهلية بعد أن أشرق العالم بنور شمس الإسلام.

نعم، ذكرت فاطمة عليها السلام الحاضرين بتلك اللحظات الحساسة التي أثقلت كاهل المؤمنين و جعلت يومهم كقرنٍ من الزمان، حتى لا يتناسوا نعم الله الجزيلة، و لا ينكروا المواهب الإلهية، و يسعون في استمرارية و ديمومة هذا الخط الإلهي و الرسالي العظيم و لا يستسلموا لما يروجه و يحيكه الأعداء.

٥ - خدمات علي عليه السلام:

تذكر ابنة النبي ﷺ في وسط حديثها بما قدمه أمير المؤمنين علي عليه السلام من خدماتٍ لهذه الأمة، و كيف أن النبي ﷺ كان يرسله لمواجهة الحوادث الخطرة و التصدي لها، و هو يقوم لها مؤثراً بنفسه، مضحياً و

فدائياً، فينقضُّ على الفتن فيخمدنها و يعود منتصراً، أهوى برؤوس
المتكبرين إلى الأرض بسيفه، و مرغ هامات الطواغيت بالتراب، و كان
ناصرأ و مساعداً للرسول ﷺ و حامياً و مدافعاً في كلِّ مكان.
نعم فمثل هذا الفرد العظيم يستطيع أن يُديم خطَّ هذه الثورة
الكبيرة و يمنع عنه الانحراف.

المحور الخامس

الردة بعد النبي ﷺ

النص:

فلما اختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه و مأوى أصفياه ظهر فيكم حسيكة النفاق، و سمل جلاباب الدين، و نطق كاظم الغاوين و نبغ خامل الأقلين و هدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، و للغرة فيه ملاحظين، ثم أستنهضكم فوجدكم خفافاً و أحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، و أوردتم غير شربكم، هذا و العهد قريب، و الكلم رحيب، و الجرح لما يندمل، و الرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، «ألا في الفتنَةِ سَقَطُوا و إِنَّ جَهَنَّمَ لُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ»^١ فتهيأت منكم؟ و كيف بكم؟ و أننى تؤفكون؟ و كتاب الله بين أظهركم أموره زاهرة [ظاهرة] و أعلامه باهرة، و زواجه لايحة، و أوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا.

«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^٢

١. سورة التوبة، آية ٤٩.

٢. سورة آل عمران، آية ٨٥.

التفسير:

١ - التآمر و الانحراف

تشير سيدة الإسلام ﷺ في هذا القسم من خطبتها إلى بقايا أحزاب الجاهلية و المنافقين الذين ضُيِّقَ الخناق عليهم في زمن رسول الله ﷺ فأخفوا رؤوسهم في جحورها، و إختبأوا في أوكارهم. و فجأةً خرجت حشرات الأرض هذه من جحورها بعد وفاة رسول الله ﷺ، و ظهرت الخفافيش التي توارت عن الأنظار بسبب هيبة وجود النبي ﷺ و أصبحت تعبث في الميدان! و بدأت التحركات المشكوكة و عادت خطوط الانحراف تظهر من جديد و دخل المتلاعبون بالسياسة ساحة المعركة!

٢ - تلبية البعض لدعوة الشيطان!

من هنا تبدأ حسرة بنت النبي ﷺ العميقة بسبب تلبية جمع غفير لدعوة الشيطان، سائرين خلف أصوات اليوم المشؤومة، فأصبحوا آله بيد حزب الشيطان و المنافقين الذين عميت قلوبهم، و رغم أن كفن الرسول ﷺ لم يزل مبتلاً و لم يزل صوت آذان مؤذنه يدوي في المسجد و صرخة تكبيره ترن في القلوب حتى ظهرت حركات الردة. باستثناء البسطاء و مريضي القلوب لأنَّ مجموعةً قد آتخذت من التقية حجة لسكوتهم خوفاً من أن الكلام يوقع الفرقة و الاختلاف بين الجمع، و صاروا متفرجين لهذا المشهد أو موافقين لأحداثه، حتى لا يبرز اختلاف في حين أن موقفهم هذا هو السبب في ذلك الانشقاق و الانحراف الكبيرين!

٣ - الاعتصام بالقرآن

ثم يصرخ المنادي الإلهي المتمثل بفاطمة الزهراء عليها السلام بهم منبهةً: أين أنتم؟ و إلى أين تولون أيها الضالون؟ فأنها تذكرهم بحديث أبيها عليه السلام: «إذا ألتبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة و من تركه ساقه إلى النار». تصيح بهم بأن لا تتركوا القرآن، فأوامره و نواهيه واضحة و إرشاداته في مسألة الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله بائنة، كما أشار إلى ما سيحصل بعد فاته، خلاصة القول أنه لم يبق شيئاً إلا و أظهر خفاياه.

٤ - إنذار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله

سيدة الإسلام عليها السلام صرخة الزمان المدوية، تحذرههم قائلة: إن تركتم تراث النبي صلى الله عليه وآله العظيم «القرآن» و تمسكتم بغيره، و قدمتم أفكاركم العاجزة على تعاليم الإسلام و جعلتم أنفسكم حكماً على القرآن، بذريعة المصلحة و خوف الفتنة لا محتكمين لأوامره، عندها سيصيبكم الضرر الأكبر و الخسران المبين. سوف لن تخدم نار الفتنة فيكم، و ستبلون بما تخافونه، و ستختفي روح الإسلام من بينكم، فلن يبقى سوى القشر دون اللب و المظهر دون المحتوى.

المحور السادس
قصة غصب فدك
وحجج الغاصبين وتفنيدها

النص:

ثم لم تلبثوا إلا ريث (إلى ريث) أن تسكن نفرتها و يسلس قيادها، ثم أخذتم تروون و قدتها و تهيجون جمرتها، و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي و إطفاء أنوار الدين الجلي و إخماد سنن النبي الصفي. تسرون حسواً في ارتغاء، و تمشون لأهله و ولده في الخمر و الضراء، و نصبر منكم على مثل حز المدى و وخز السنان في الحشا. و أنتم الآن أتزعمون أن لا إرث لنا؟ أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟^١ أفلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته. أيها المسلمون أغلب على إرثيه؟ يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً. أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول:

١. سورة المائدة، آية ٥.

«وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»^١.

و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال:

«فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»^٢

و قال:

«وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^٣.

و قال:

بُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ»^٤.

و قال:

«إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»^٥

و زعمتم أن لا حظوة لي و لا إرث من أبي؟ و لا رحم بيننا؟ أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا و أبي من أهل ملة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومته من أبي و ابن عمي؟

فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله و الزعيم محمد ﷺ، و الموعد القيامة و عند الساعة يخسر لمبطلون و لا ينفعكم إذ تندمون،

«لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»^٦.

١. سورة النمل، آية ١٦.

٢. سورة مريم، آية ٥-٦.

٣. سورة الأنفال، آية ٧٥.

٤. سورة النساء، آية ١١.

٥. سورة البقرة، آية ١٨٠.

٦. سورة الأنعام، آية ٦٧.

«مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»^١.

التفسير:

١ - إحياء المذهب الجاهلي

بلغ حديث فاطمة عليها السلام أوجه في هذا القسم مدلاً على ألمٍ و هيجانٍ شديدين، فحرقة قلبها متأتية من ظهور أحكام الجاهلية مرةً أخرى حيث أن الأنثى لم تكن لتورث في زمن الجاهلية أما الإسلام فقد أبطل ذلك بعد مجيئه مقراً بحصة و سهم جميع الأقارب في إرث المسلم، استناداً إلى ذلك فإن الموضوع لم يكن مقتصرًا على مسألة «فدك» فحسب، بل إن المهم في الدرجة الأولى هو خطر إحياء سنن الجاهلية و محو سنن الإسلام، لذا قامت في هذا القسم بتوجيه اللوم الشديد لهم، مكثفةً حملاتها عليهم.

الأعجب من كل ذلك هو تعجيلهم في إنجاز هذا العمل بشكلٍ أدرك معه الجميع أن مسألة «غصب فدك» لم تكن مسألةً عادية، فقد سعوا إلى هذا الغصب قبل أن يُحكموا قبضتهم على الخلافة، و بتعبيرٍ آخر فإنهم فكروا بذلك قبل أن تغيب شمس ذلك اليوم و هذه نقطة مهمة في فهم عمق هذه المؤامرة الكبيرة.

٢ - أدلة الخصم

أشارت بضعة النبي ﷺ في هذه الخطبة البارعة و الحاكمة العالمة

١. سورة هود، آية ٣٩.

بصورة ضمنية إلى دلائلهم في ذلك الغصب، حيث ادعوا أن الرسول ﷺ قال «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

بعدها قامت بالرد على تلك الحجج بأجوبة منطقية وقاطعة مستدلة بشواهد من عموم القرآن وخصوصه، فتثبت ومن خلال عدد من آيات الكتاب زيف هذا الحديث الموضوع الذي يجب ضربه بعرض الحائط!

٣- فاطمة عليها السلام تقطع جميع الاعذار

لقد استخدمت هذه العالمة الكبيرة حربة الإستدلال في هجومها على خصمها بشكل لم تبق له سبيلاً للفرار. تقول عليها السلام إذ كان عذرکم هو الحديث الموضوع «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»؟

فإن الرد عليه هو ما نصت به آيات القرآن التي ذكرتها لكم، وإذا كان عذرکم منعنا إرثنا فاعلموا أن جميع الأبناء يرثون آباءهم وأمهاتهم في الإسلام، باستثناء من لم يكن على دين ومذهب أبيه، بمعنى أن الأبناء الكفرة لا يرثون من أب وأم مسلمين، فهل تعتقدون باختلاف ديني ومذهبي عن دين ومذهبي بوالدي؟!!

وإذا كانت روايب الجاهلية وأحكامها التي تنص على عدم توريث البنات قد علفت في أذهانكم، فإن هذه الخرافات قد تعطلت ولا سبيل للعودة إلى ليالي الظلمة بعد بزوغ الفجر.

١. الكافر، كل من دان بغير الإسلام.

٤ - هل أنتم أعلم بالقرآن أم أهل بيت الوحي ﷺ؟

تعلق فاطمة الزهراء ﷺ هذا الطريق عليهم أيضاً حيث يقولون نحن نفهم من القرآن كذا وكذا، فتخاطبهم بالقول: أي مكان من القرآن؟ وبأي تفسير؟ ومن هو أجدر وأليق لهذا الأمر من ابن عمي على ﷺ الذي تربى في أحضان الوحي، وهو من كتّابه، كما أنه سمع القرآن وتفسيره من شفّتي الرسول ﷺ؟

الحقيقة هي أن القرآن قد نزل في بيتنا و «أهل البيت أدرى بما في البيت».

خلاصة القول تشير إلى قضية وراثية سليمان لأبيه داود وإرث يحيى ﷺ من أبيه زكريا ﷺ الذين كانوا جميعاً من الأنبياء الكبار، و تقول ﷺ على خلاف هذه الرواية الموضوعة - يصرح القرآن بأن كلاً من الأبناء قد ورث أباه، ونعلم جيداً أن كل رواية تخالف القرآن يسقط اعتبارها.

و تستدل أيضاً بعموم القرآن، حيث تنص الآية الشريفة «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ»^١ وكذلك «أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^٢ فتستفهم قائلة: هل يمكن لخبر الواحد المخالف لعموم القرآن و خصوصه أن يكون ذا قيمة و أهمية ولو بمقدار سم الخياط في محكمة العدل الإسلامي؟

بعدها تعدد جميع الطرق التي تمنع تحجب الإرث و من ثم تقوم بتفنيدها.

١. سورة النساء، آية ١١.

٢. سورة الأنفال، آية ٧٥.

٥ - التريث و التربص

لكي لا يتصور الحاضرون أن تمسكها بفدكٍ نابغٍ من كونه متصفاً بصفةٍ ماديةٍ دنيويةٍ، لا بصفةٍ إلهيةٍ، فقد أضافت هذه السيدة المجاهدة قائلة: «الآن و بعد أن آل الحل إلى ما آل فخذوها طرّةً، و افعلوا ما بدا لكم، لكن اعلموا أنكم ستقفون في محكمةٍ عظيمةٍ تختلف عن سائر المحاكم الدنيوية، فالله «سبحانه و تعالى» هو الحاكم فيها، و الرسول ﷺ هو المدعي عليكم في تلك المحكمة، و موعدها يوم القيامة «يوم البروز» يوم تتضح كل خافية!».

فإن أعددتكم جواباً لذلك اليوم فتوكلوا على الله، و إلا فاستعدوا للجزاء الإلهي.

حينها ستندمون حمئاً على ما فعلتم ولكن سوف لن ينفعكم هذا الندم أبداً لأن ملف الأعمال قد أغلق، و لا سبيل للرجوع إلى الماضي.

المحور السابع طالب نصرة الأنصار

النص:

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:
يا معشر الفتية (النقية) وأعضاء الملة و حضنة الإسلام، ما هذه الغميرة
في حقي و السنة عن ظلامتي.
أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده».
سرعان ما أحدثتم و عجلان ذا إهالة، و لكم طاقة بما أحاول و قوة على
ما أطلب و أزاول.
أتقولون مات محمد ﷺ فخطب جليلٌ إستوسع و هنه و استنهر فتقه، و
انفق رتقه.
و أظلمت الأرض لغييبته، و كسفت النجوم لمصيبته، و أكدت الآمال،
و خشعت الجبال، و أضيع الحريم، و أزيلت الحرمة عند مماته.
فتلك و الله النازلة الكبرى، و المصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، و لا
بأثقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفئيتكم و في ممساكم و
مصيحكم هتافاً و صراخاً و تلاوةً و ألحاناً، و لقبه ما حل بأنبياء الله و

رسله حكمٌ فصلٌ، وقضاءٌ حتمٌ.
 «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
 اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^١.

إيهاً بني قيلة! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني و مسمع و منتدئ و
 مجمع؟ تلبسكم الدعوة و تشملكم الخبرة و أنتم ذو العدد و العدة و
 الأداة و القوة، و عذرکم السلاح و الجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، و
 تأتيكم الصرخة فلا تغيشون (تعينون)، و أنتم موصوفون بالكفاح،
 معروفون بالخير و الصلاح، و النخبة التي انتخبت و الخيرة التي اختيرت.
 قاتلتكم العرب، و تحملتم الكد و التعب، و ناطحتكم الأمم و كافحتكم
 البهيم، لا نبرح أو تبرحون، نأمرکم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى
 الإسلام و در حلب الأيام، و خضعت نعة الشرك، و سكنت فورة الأفك،
 و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوة الهرج، و استوثق (و استوسق) نظام
 الدين!

فأنى حرتم بعد البيان؟ و أسررتم بعد الإعلان؟ و نکصتم بعد الإقدام؟
 و أشركتم بعد الإيمان؟
 «أَلَا تَتَّقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
 أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^٢.
 ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، و أبعدتم من هو أحق بالسط و

١. سورة آل عمران، آية ١٤٤.

٢. سورة التوبة، آية ١٣.

القبض، قد خلوتم بالدعة و نجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما و عيتم، و دسعتم الذي تسوَّغتم.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^١.
ألا و قد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامر تكم و الغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، و نفثة الغيض (الغيظ) و خور القناة و بثة الصدر و تقدمة الحجة.

فدو نكموها فاحتقبوها دبيرة الظهر نقيبة (نقبة) الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله و شنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون.

«وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^٢
و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا «إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ»^٣

التفسير:

١ - دور الأنصار الفاعل في تحقيق أهداف الإسلام

تشيد سيدة الإسلام ﷺ في هذا القسم من حديثها بطائفة الأنصار، موصفة إياهم بالمجموعة المختارة و ساعد الإسلام القوي و حامي الرسول ﷺ المخلص، كما أظهرت لهم الشكر و الثناء بسبب ما بذلوه في خدمة الرسول ﷺ منذ دخوله المدينة و ما تحمّلوه من عناء و مصاعب

١. سورة ابراهيم، آية ٨.

٢. سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

٣. سورة هود، آية ١٢١-١٢٢.

قبل ذلك في سبيل الإسلام.

نعم، كان للأنصار دورٌ مؤثّر في تقدم الإسلام في الحرب و السلم و في جميع مراحلها، و بالرغم من ذلك فقد كانوا أقل توقّعاً و طمعاً من المهاجرين، و ربما طوى تاريخ الإسلام مسيراً أفضل فيما لو صُيّرت لهم الأمور. مما لا شك و لا ريب أن في المهاجرين أشخاصاً مخلصين لم يتوانوا أبداً في إثارتهم و تضحياتهم، لكن تغلغل المتلاعبين بالسياسة في أوساطهم قد غر قلب الوضع كلياً

٢ - هجوم فاطمة الزهراء عليها السلام على الأنصار

لكن سخط سيدة الإسلام عليها السلام عليهم هو لماذا التزمت هذه السواعد القوية و أصحاب الرسول عليه السلام القدمات الصمت في مقابل الظلم الذي حل بآل بيته، فقد أقروا بسكوتهم صحة تلك المظالم، و لم يراعوا ذمة النبي عليه السلام في أهل بيته، و الأهم من ذلك مؤازرتهم للغاصبين و موقفهم الشائن المساعد من تغيير محور الخلافة بعد اشتباك قصير راموا فيه تحقيق مصالحهم، حيث قبضوا ثمناً لذلك السكوت، و ذلك ذنب لا يغتفر!

٣ - موت النبي عليه السلام لا يعني موت الاسلام

بين القرآن المجيد من ناحية و الرسول الكريم عليه السلام من ناحية أخرى حقيقة مهمة ألا و هي أن الاسلام لا يعتمد على شخص معين، فهو دين أزلي مستمر إلى يوم القيامة و لا ينتهي بوفاة النبي الكريم عليه السلام، لأنه كان ثورة قائمة على أساس ديني، دين إلهي سماوي، الدين الذي يؤمن

احتياجات الناس على مر العصور، فلا بد لهذا الدين أن يبقى و يدوم.
ولكن رغم كل ذلك، فإن قسماً من الناس ممن ينقصه بُعد النظر و
تهمة المظاهر، يتصور أن الضربة الموجهة و المصيبة المؤلمة التي ألمت
بالعالم الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ و الفراغ الذي نتج عن فقد المحيط
الإسلامي لهذا القائد العظيم قد أودى بحياة الإسلام، و انطوت أيامه و
أحداثه! مما حدى بهم ذلك إلى غلق شفاههم في مقابل تلك النعرات
الجاهلية.

تصرخ فاطمة ؑ مذكراً إياهم بآيات القرآن التي تتحدث عن أزلية و
بقاء الإسلام، تُنبه الغافلين و توقظهم من غفلتهم، و تعرّف المسلمين
مسؤولياتهم الثقيلة في تلك المرحلة الحساسة.

٤ - الصمت في مقابل تعطيل الأحكام الإسلامية؟

توبّخ في مقطع آخر من حديثها ؑ الأنصار بشدة، بأن سكوتكم على
أحداث «فدك»، الاحداث التي تُعد حلقةً من سلسلة انحرافات متواصلة، و
شرارةً من شعله متوهّجة، و قطرة من تيار جارٍ، سيؤدي ذلك في النهاية
إلى إحياء الطيف المناهف للإسلام!
يُظهر الناس حيرتهم متسائلين: إذا كان صحيحاً ما يقال من أن قانون
الإسلام هو الحق، فلم لا يسري حكمه على أقرب أقرباء النبي ﷺ؟ فعند
ما يسحقوا مثل هذا الحكم الصريح و أنتم تقرّون ذلك بسكوتكم، صار من
السهل عليهم أن يسحقوا سائر الأحكام الإسلامية!
يجب أن تنظروا لهذه المسألة على أنها «عملية مدبرة» لا بعنوان أنها

«واقعة عرضية»، و تصوروا ما هي الأحداث الأخرى التي خُبات خلف هذه الحادثة؟ و ما ثورتني و صرختني إلا لهذا السبب!

لا تتصوروا أن «حمايتكم للمظلومين من أمثالي» توجد الفرقة بين صفوف الأمة الإسلامية، بل على العكس، فإن سكوتكم يثير الغرابة والدهشة، فلو ادّعيتم الضعف و العجز فقد كذبتهم، فقيكم العدد و العدة منذ البداية، و هي الآن أكثر، إضافةً إلى ذلك فلما ذا تلقون بآيات القرآن الصريحة التي تنص على «أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ يُبَاخِرُونَ الرِّسُولَ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْ تَخْشَوْهُمْ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^١ خلف ظهوركم؟ و تخافونهم بدل أن تخافوا الله؟

٥ - الخلود إلى الدعة

بعدها تغوص هذه المعلمة القديرة في أعماقهم لتستخرج سبب سكوتهم الأصلي، فتشير إلى أن المسألة هي أن استولى عليكم حب الدعة و طلب الراحة، و استسلمت أجسادكم للإستراحة، فرغم أنكم شاهدتم بأعينكم تنحية و تباعد من هو أحق و أليق بالخلافة من غيره عنها إلا أنكم التزمت جانب الصمت؟

نعم، تستمر عجلة الثورة إلى الوقت الذي يحتفظ الأشخاص بالروح الثورية و لم يخضعوا لميولهم الدنيوية، و إلا ركعوا أمام المصاعب و المشاكل، غير مباليين بما يمر بهم من حوادث مرّة، و بالتالي بخبت نور الثورة!

١. سورة التوبة، آية ١٣.

٦ - النكوص عن النصرة

تمتلك هذه السيدة الشجاعة بصيرةً نافذةً في أدق الأمور، فهي تميّط اللثام عن حقائق هامة، فتخاطب طائفة الأنصار في هذا المقطع مشيرة إلى هذا المعنى: غايتي هي إتمام الحجة عليكم لا غير، فليس لي فيكم أملاً يُرتجى، فبعد أن التزمت الصمت في مسألة «الخلافة» كان من الطبيعي أن ترفعوا نفس الشعار في مسألة «فدك»، لكن التاريخ الإسلامي سيسجل حديثي لهذا اليوم، و ستحكم الأجيال القادمة فيما بيننا، هذا بالإضافة إلى أنني أردت أن أزيل عن قلبي عُقد الهم، و ازيح غيض صدري حتى يعلم الجميع ما عانيت من الألم!

٧ - البشارة بالعذاب

تشير بطلاة الإسلام في هذا المقطع إلى نتيجة أفعالهم، فتقول منبهَةً إياهم: أتظنون أنّ ثمن هذا لسكوت، و طلب الراحة ذاك، و هذا الموقف المتفّرّج، و هذه اللامبالاة سيكون رخيصةً بل ستقطفون ثمارها المُرّة في هذه الدنيا على أيّد حكوماتٍ جائرة - مثل بني أمية و بني العباس - و التي سوف لن ترحم أعقابكم و لن تتورع عن هتك القرآن و الاسلام.

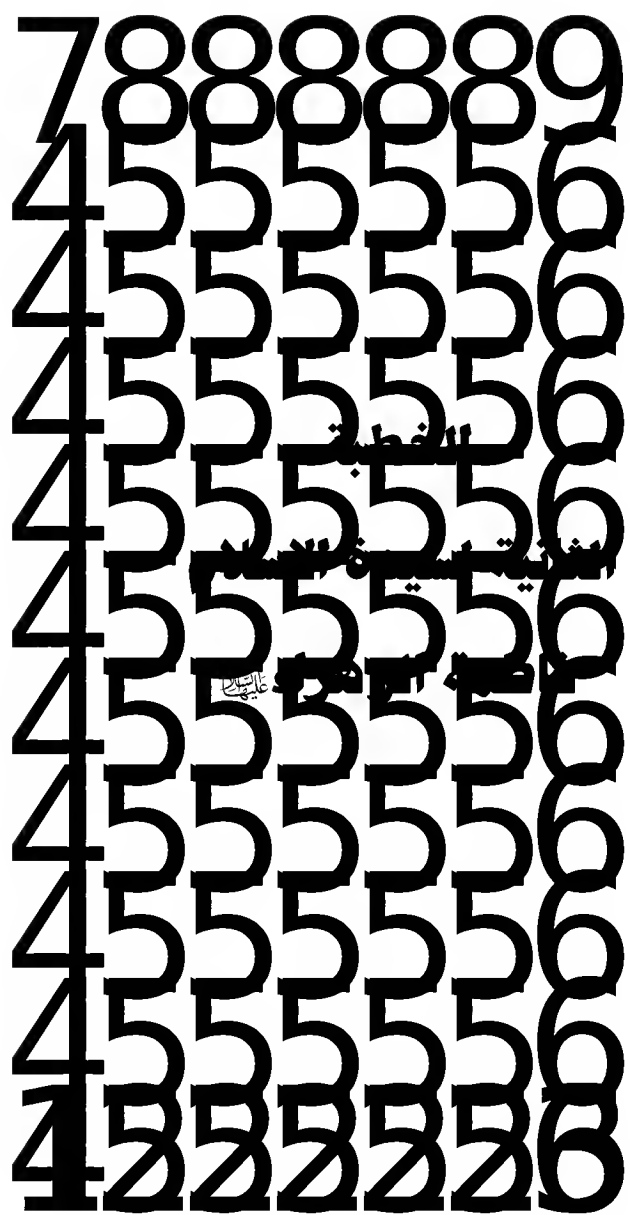
٨ - امتداد إنذار النبي ﷺ

تقول سيدة النساء فاطمة عليها السلام نفس ما كان يقوله الأنبياء للمجرمين، حيث تنذرهم:

«إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ»^١

أنتم تنتظرون أن يقع بآل بيت النبي ﷺ ظلماً أكبر، و نحن ننتظر
فيكم عقاب الله المؤلم والمهلك!

١. سورة هود، آية ١٢١-١٢٢.



الخطبة المؤلمة في نساء المدينة

ألقت سيدة النساء عليها السلام هذه الخطبة وهي على فراش المرض، ذلك المرض الذي لم تشف منه أبداً، ومنه عرجت روحها الطاهرة. كانت خطبتها الأولى في مسجد الرسول ﷺ وهي في حالةٍ صحية جيدة^١، وبحضور جمعٍ من رجال المهاجرين والأنصار، وكانت هذه الخطبة في مقابل نساء المهاجرين والأنصار في داخل بيتها وعلى فراش المرض.

رغم أن المخاطب قد اختلف، والزمان والمكان قد تغيرا، والحال قد تردى، إلا أن لحن الخطبتين ينم وبوضوح عن روحيةٍ عاليةٍ مملوءةٍ بالعلم والمعرفة، مفعمةٍ بالإيمان وحب الله، يفيض من جنبها ألمٌ وحزن، وقد تميزت كلا الخطبتين بلحنٍ بليغٍ وساحقٍ وأخاذٍ وقاطعٍ وشجاع، لكن لحن الخطبة الثانية التي هي موضوع بحثنا حالياً كانت أشد تنكيلاً بالظالمين وأكثر حرقةً وألماً وغمماً. لقد كانت هذه الخطبة التي صدرت من قلب بنت الرسول ﷺ المتألم بمثابة رسالة الهموم والاحزان.

١. كما ورد شرحه في الخطبة الأولى، فإن ستاراً قد أُسدل ليحجب النساء، ثم أنها كانت تتوسط جمع النساء اللاتي رافقنها.

الهمم الذي نغض روحها و نخر عظامها، و أشعل نيران الحرقه في كيانها، و لذلك نرى أن خطبتها اتخذت طابعاً ملتهباً دموياً لأنها نبتت من قلبٍ محترقٍ فاض بدم الأسى و الحسرة.

من عجائب هذه الخطبة هي أن هذه السيدة الجليلة عليها السلام قد لاقت الكثير من الظلم العنيف في الفترة الواقعة ما بين وفاة أبيها عليه السلام و استشهادها عليها السلام، ذلك الظلم الذي كان سبب مرضها العصب، و رغم أن سؤال نساء المدينة عند عيادتها كان يدور حول حالتها الصحية، و عادةً يشكو المريض بعضاً من آلامه إن لم يكن حديثه كله مختصاً بحالته الصحة، رغم كان ذلك فإنها لم تورد في حديثها أي كلمة عن حالها و مرضها، بل كان حديثها منصباً على مسألة غصب الخلافة و ظلامة علي عليه السلام، و الأخطار التي ستمر بالأمة الإسلامية نتيجة هذا الإنحراف.

عجباً لها، فلم تذكر في حديثها شيئاً عن مرضها، فكل ما قالت كان عن ألم زوجها علي عليه السلام و عن مشاكل العالم الإسلامي.

نعم... لقد كانت روح الزهراء عليها السلام أرفع من أن تتكلم عن نفسها و آلامها - رغم أنها كانت كبيرة - بل و أجل من أن يوصف علو شأنها، فتكلمت فقط عن إمامها وزوجها المحبوب علي عليه السلام و آلامه.

لم تكن قلقة عى نفسها، بل كانت قلقة على الأمة الإسلامية و مصيرها المشؤوم و المؤلم.

يفكر المرء عادةً في آخر لحظات حياته بنفسه و مشاكله و آلامه، لكن المدهش أن فاطمة عليها السلام لم تورد على لسانها في هذه الخطبة الطويلة شيئاً من ذلك، و لا حتى بجملة واحدة.

و هذا أكبر دليل على عظمة فاطمة عليها السلام و مقام تضحيتها و إثارها.

وفي هذا عبرة لكل الأحرار الهادفين و لكل المضحين و الفدائيين في تاريخ البشرية.

بلى فقد كانت دائماً - و إلى آخر لحظةٍ من حياتها الشريفة المملوءة بالآلام و الهموم - شمعةً تحترق لتنير لمن حولها و تنجّي الضالين منهم و تدافع عن الحق و العدالة.

تحدثت في خطبة فدك (الخطبة الأولى لسيدة النساء) عن كلٍّ من التوحيد، النشوء، المعاد، فلسفة الأحكام، و الأحداث التي رافقت بعثة النبي ﷺ، و بركات وجوده، و مسألة غضب الخلافة، و مصير المسلمين، و إن هي تحدثت عن «فدك» فذلك لدورها المؤثر في كونها دعامة ماليةً لمسألة الخلافة و كذا سائر مسائل الإسلام السياسية، و هذا ما دعى الأعداء إلى تضيق الخناق على آل بيت النبي ﷺ و تحطيم قدراتهم بانتزاع «فدك» من أيديهم، فأرادت إسترجاعها منهم.

لكنّ سيدة النساء عليها السلام ركزت في خطبتها الثانية «خطبة نساء المهاجرين و الأنصار» حديثها على محور الخلافة و الإمامة فقط، و بالرغم من معاناتها للكثير من الظلم و الجور و رغم أن الفرصة كانت سانحةً للمطالبة بحقها المغصوب، إلا أنها لم تطالب بأي شيء بل و لم تنطق بأية شكوى، فكل ما قالته كان عن عليّ عليه السلام، و عن الخلافة و عن مصالح المسلمين.

يَعُدُّ «التسليم المطلق» من المقامات العالية التي يتحلّى بها أولياء الله. و هذا يعني أن يسلك إلى الله طريق الحق و العدل الذي ينسى المرء فيه نفسه، فلا يرى غير الله. لا يأتمر إلا بأمره.

لا يرجو إلا رضاه.

لا يفكر إلا بما يريده.

فالمرحلة الأولى هي الإسلام، ثم الإيمان و بعد ذلك الرضا، و من ثم يأتي دور التسليم المطلق، و لهذا المعنى يشير الله سبحانه و تعالى في محكم كتابه الحكيم:

«قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»^١
و يقول أيضاً:

«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً»^٢.

ثم يقول:

«إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً»^٣

إن مقام الإيمان و الرضا و التسليم الذي تتحلّى به هذه السيدة جعلها تتناسى و تتجاهل آلامها و همومها المرهقة و تتحدث عن رضا الله، و عن رسوله ﷺ و عن وليّه، و عن مستقبل الإسلام و المسلمين.

و يسرنا بعد هذه المقدمة القصيرة عن الخطبة و فحواها، أن نتّجه صوب نصّها، فنجعلها في خمسة أقسام، لكنه ينبغي أن نتعرف أولاً على وثائق و أسناد هذه الخطبة.

١. سورة الحجرات، آية ١٤.

٢. سورة النساء، آية ٦٥.

٣. سورة الدهر، آية ٩.

مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء عليها السلام

وردت هذه الخطبة في مختلف مصادر العامة و الخاصة، سنذكر منها المصادر السبع التالية:

- ١- كتاب «الاحتجاج» للمرحوم «الشيخ الطبرسي» عليه السلام.^١
- ٢- كتاب «كشف الغمة» المشهور للكتاب «علي بن عيسى الأربلي» نقلاً عن كتاب «الصحيفة»^٢
- ٣- «بحار الانوار» للمرحوم «العلامة المجلسي» ينقل هذه الخطبة و بأسناد متعددة^٣
- ٤- كتاب «معاني الاخبار» للمرحوم «الشيخ الصدوق» يورد هذه الخطبة مع ذكر سندها في آخرها نقلاً عن عبدالله بن حسن عن أمه فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام.^٤
- ٥- و ذكرت في نفس المصدر بسندها عن علي بن أبي طالب عليه السلام.^٥
- ٦- كتاب «الأمالي» للمرحوم «الشيخ الطوسي».
- ٧- كتاب «شرح نهج البلاغة» للعالم السنّي المعروف «ابن أبي الحديد»^٦

١. الاحتجاج.

٢. كشف الغمة، ج ٢، ص ١١٨.

٣. بحار الانوار، ج ٤٣، ص ١٥٨.

٤. عن أحمد بن الحسن القطان عن عبدالرحمن محمد الحسيني عن أبي الطيّب محمد بن الحسين ابن حميد عن أبي عبدالله محمد بن زكريا عن محمد بن الرحمن المهلب عن عبدالله بن محمد ابن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن الحسن.

٥. عي بن محمد المعروف بابن المغيرة القزويني عن جعفر بن محمد ابن الحسن عن محمد بن علي الهاشمي عن عيسى بن عبدالله ابن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طالب عن جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام.

٦. أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبدالرحمن عن

على أي حالٍ و كما ذكرنا سابقاً، فقد وردت هذه الخطبة بأسنادٍ متعددة مع ملاحظة اختلافٍ في نصوصها، و قد اخترنا أقربها للصحة و أكملها و هو المنقول في «الاحتجاج» عن «سويد بن غفلة» (نقل ذلك أيضاً العلامة الكبير المجلسي في المجلد ٤٣ من بحار الانوار ص ١٦١)^١ و عليه فإن الخطبة المذكورة هي من الخطب التي وردت من مصادر متعددة و بأسنادٍ معتبرة، لذا فهي تتمتع بأهمية خاصة. ولكي نتعرف على الحقائق التي تضمنتها هذه الخطبة، نتجه صوب متن الخطبة و تفسيرها.

عبدالله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام.

١. «سويد بن غفلة» أو «غفلة» على حد قول «العلامة الحلي» في «الخلاصة» و هو من أولياء أمير المؤمنين علي عليه السلام، و اعتبره «العلامة المير داماد» (نقلاً عن المرحوم اللماقاني) من أولياء و خواص أمير المؤمنين عليه السلام، كما قال «الذبي» في «المختصر» عنه بأنه رجل ثقة، عابد، زاهد، و صاحب مقام رفيع.

القسم الأول

لما اعتلت فاطمة عليها السلام علة الموت، اجتمع إليها نساء المهاجرين و
الأنصار، يعدنها، فقلن لها:
كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله؟!
فحمدت الله و صلت على أبيها عليه السلام ثم قالت:
أصحت والله عائفةً لدنيا كنّ، قاليةً لرجالكنّ. لفظتهم بعد أن عجمتهم
و شأأتهم بعد أن سيرتهم.
فقبحاً لفلول الحدّ، و اللعب بعد الجد، و قرع الصفاة، و صدع القناة، و
خطل الآراء، و زلل الأهواء، و «لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ»^١
لا جرم لقد قلدتهم ربقتها و حملتهم أوقتها و شنت عليهم عارها.
فجدعاً و عقراً و بُعداً للقوم الظالمين.

نظرة عامة:

يعترض الإنسان في طول حياته أياماً و ساعات حساسة تكون بمثابة
امتحانٍ له، و بالطبع فإن الامتحان الإلهي يُرَبِّي في المرء روحه و يزيد

١. سورة المائدة، آية ٨٠.

فيه المقاومة و الشهامة كما يتم من خلاله كشف قابلياته و تفتح استعدادته، و أيضاً معرفة المرء حقيقة باطنه.

علماً أن المرء قد يشتبه أحياناً في معرفة نفسه، لا كما هو الحال في الامتحان البشري الذي يُقام لكشف عددٍ من المجاهيل و التعرف على مواطن الأفراد من خلال التجربة و التحليل.

و هذه المسألة قد وضحت في هذا القسم من خطبة سيدة الإسلام ﷺ. تظهر الزهاء ﷺ نفرتها و انزعاجها الشديدين ممن ينتهز الفرصة ليسترزق منها مؤنة يومه، أي من المهاجرين و الأنصار لأنهم سكتوا - ليس سكوتهم فحسب - بل على موافقتهم للانحرافات التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، فأنذرتهم بأن يحذروا هذا الإمتحان الإلهي العظيم.

تذكّرهم بجهادهم الرائع في عصر الرسول ﷺ، و من ثم تشبههم بالسيوف المثلومة التي فقدت قدرتها في صدّ الأعداء و دحرهم، و بالرماح التي تهشمت فأصبحت غير مفيدة لأي شيء.

توبّخ ابنة النبي الكريم ﷺ بشدة أولئك الذين سخروا من مبادئ الإسلام و جعلوها عرضةً لأهواءهم، و من ثم وجهت لومها و تحقيرها إلى من وهن عزمهم، و فقدوا قدراتهم في اتخاذ قرارٍ ضد الانحرافات التي حدثت.

في نهاية هذا القسم تقوم بإنذارهم بأن مسؤولية غصب الخلافة ستثقل كاهلهم إلى الأبد، و ستبقى جباههم موسومة بوصمة العار التي جاءت نتيجةً لسكوتهم، كما أن التاريخ الإسلامي سيسجّل هذه الحادثة المؤلمة بمنتهى الأسف.

نعم، فالكثير منهم لم يخرجوا من الإمتحان منتصرين و لم تكن

وجوههم مستبشرة، وكم كان حسناً لو تبينت «حقائق الأمور» للعيان حتى تسودّ وجوه «الغشاشين»، وكم كان لطيفاً لو أُقيمت مناقل النار ليفضح «مدلوك الذهب و سوار الفضة» باطنه و يتبين للناس حقيقته ليُميزوه عن الذهب الخالص.

القسم الثاني

و يحهم أني زعزعوها عن رواسي الرسالة و قواعد النبوة و الدلالة،
و مهبط الروح الأمين و الطيّن بأمور الدنيا و الدين
«أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»^١
و ما الذي نقيموا من أبي الحسن عليه السلام؟
نقيموا منه و الله نكير سيفه، و قلة مبالاته بحتفه، و شدة و طأته، و
نكال وقعته، و تنمّره في ذات الله.
و تالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، و زالوا عن قبول الحجة الواضحة،
لرُدّهم إليها، و حملهم عليها، و لسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، و
لا يكل سائره و لا يمل راكمه.
و لأوردهم منها نميراً صافياً رويّاً تطفح ضفّته و لا يترنق جانباه و
لأصدرهم بطاناً و نصح لهم سرّاً و إعلاناً.
و لم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل، و لا يحظى منها بنائل، غير ري
الناهل و شبعة الكافل و لبان لهم الزاهد من الراغب، و الصادق من
الكاذب.
«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

١. سورة الزمر، آية ١٥.

وَالْأَرْضَ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^١
 «وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ
 بِمُعْجِزِينَ»^٢

التفسير

المعايير و القيم الإلهية

تحكم المجتمع الإلهي السليم معايير و قيم إلهية في جميع مجالات الحياة، سيما في أشغال المناصب، فلا سبيل للأجنحة و منتهزي الفرص، و الدسائس السياسية و العصبية القبلية و القومية، و كذا ما يعقده تجار السوق السياسي من اتفاقات خلف الكواليس في ارتقاء المناصب و التصدي لمسؤوليتها.

تخاطب سيدة النساء عليها السلام في .. هذا القسم نساء المدينة مستفهمة: لماذا؟ و بأيّ مسوغ غير رجالكنّ محور الخلافة عن المسير الذي طالما بينه الرسول عليه السلام في أحاديثه الصريحة الواضحة؟ و ما هو نقص أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام؟ و هل يفتقد شيئاً من الكمالات اللازمة، روحية كانت أم جسدية؟

بلى، إن عيبه هو سيفه الغالب الذي خطف النوم من عيون أعدائه، قدرته اللامتناهية في ميادين القتال، إستخفافه بالموت في سوح الوغى، جعلت منه حصناً منيعاً عجز أعداء الإسلام في اختراقه. فالعذر التافه الذي أُوخذ عليه هو أن توجهه لله فقط، فرضاه من رضا الله، كما أن غضبه و سخطه لوجه الله فقط.

١. سورة الاعراف، آية ٩٦.

٢. سورة الزمر، آية ٥١.

الحقيقة أن كلام سيدة النساء عليها السلام كان بمثابة تذكير لهم بأن قيم و مفاهيم المحيط الإسلامي قد تغيرت و تبدلت بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله، و بسبب انحراف المزاج السليم لأرواح هذه المجموعة من المهاجرين و الأنصار، صار طعم القيم الإسلامية الحقيقة في أعماقهم مرّاً كالحنظل بعد أن كان لذيذاً كالعسل، كما اعتبرت الشروط التي تشكل أهم مواصفات القائد الرباني القاطع الصارم عيباً و نقصاً له.

بعدها تستمر في حديثها منبهة إياهم أن تنحية علي عليه السلام عن الخلافة إنما هو كفران لنعمة كبيرة و موهبة إلهية عظيمة، علماً أنه أعلم الناس بآيات القرآن و بحلال الله و حرامه.

فهو أعرف من غيره بالحق و الباطل و القادر على الفصل بينهما، و لو آلت إليه زمام الأمور لم يكن يسمح لورثه الشرك (آل أبي سفيان و هم أعدى أعداء الإسلام و أشد المخالفين للقرآن الكريم) أن يطمعوا في الحكومة الإسلامية بهذه السرعة، و يحولوها إلى جهاز حكوميّ مستبد، و هو أسوأ و أظلم من حكومة كسرى و قيصر و الفراعنة.

فإذا كانت أمورهم مودعة في يد علي عليه السلام المتقدرة، لأجلسهم مركب الحق المنيع، و لهداهم بأمان و هدوء و مداراة إلى نبع ماء الحياة، و من ثم لرواهم من ذلك النبع المتدفق ماءً عذباً زلالاً يمنح شاربيه حياة أزلية. إن من شروط القائد الرباني هو حب الخير و العطف على الأمة، فهل وجدوا أحداً أكثر عطفاً و شفقة من علي عليه السلام؟ الشخص الذي كرس جهده في إشباع الجوع و إرواء العطاش، يتألم لآلامهم و همومهم، كما أن غمهم يعصر قلبه.

الشرط الآخر في مسألة الخلافة و الإمامة هو الزهد و عدم الاغترار بالدنيا و جاهها و مالها، فإن تعلق قلب قائد الأمة بالدنيا صار من السهل

النفوذ إليه من هذا الطريق، و من ثم تضليله و حرفه عن جادة الحق.
فهل يوجد في كل الأمة الإسلامية أزهد و بالدنيا من علي عليه السلام؟
الشخص الذي لم يكتنز ذهباً أبداً، و لم يُشيد لنفسه قصرًا، ثيابه بسيطة
كثياب غلامه.

و غذاؤه بمستوى غذاء أفقر الناس.

إذا كانت معايير الخلافة هي القدرة الروحية و البدنية، الإخلاص في
النية و الزهد و العصمة و التقوى، و العطف على الأمة، فمن هو أفضل من
أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يتحلى بهذه المواصفات؟
و إذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد نصب علياً عليه السلام خليفة له مشيراً إلى هذا المعنى
مرّات و مرّات عبر عباراتٍ مختلفة الصّيغ، معتبراً إياه أليق من الجميع
لهذا المقام فهذا لا يقتصر عليه نابل، الله سبحانه و تعالى اعتبره أليق
الناس بهذا المنصب.

تقوم سيدة النساء عليها السلام في نهاية هذا القسم بإنذارهم و تحذيرهم بأن
لا يظنّوا أن ثمن هذا الكسل و التقصير، و تقاعسهم في حماية الشخص
الأنسب للخلافة سيكون رخيصاً، بل عليهم أن ينتظروا ما سيُخلّفه ذلك
التقصير و ذلك التقاعيس و يتدوّقوا نتيجة المزة، عليهم أن لا يتصوّروا
أنهم يستطيعون النجاة و الفرار من قبضة العذاب الإلهي في هذه الدنيا،
كلا، أبداً.

بلئ، سيحصلون في نهاية الأمر ما زرّعوا، و سيبتلون بحكوماتٍ عنيدةٍ
و جبارة و فاسدةٍ و مفسدةٍ و ظالمةٍ تفتقد الرحمة كحكومات بني أمية و
بني العباس، في ذلك اليوم الذي سوف لن يجدوا فيه سبيلاً للفرار و هم
يشعرون بمواجهتهم لعذاب الآخرة.

القسم الثالث

أَلَا هَلُمَّ فَاسْتَمِعْ وَمَا عَشَتْ أَرَاكَ الدَّهْرَ عَجَبًا، وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ:
لَيْتَ شَعْرِي؟ إِلَى أَيِّ سَنَادٍ اسْتَدَدُوا؟ وَعَلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا؟ وَبِأَيَّةِ
عُرْوَةٍ تَسْمَكُوا؟ وَعَلَى أَيَّةِ ذُرِيَّةٍ أَقْدَمُوا وَاحْتَنَكُوا؟!
«لَيْسَ الْمَوْلَى وَ لَيْسَ الْعَشِير»^١.
«وَيْسَ لِلظَّالِمِينَ يَدَلًا»^٢.

استبدلوا والله الذُّنَابِي بالقوادِم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم
يحسبون أنهم يُحسنون صنْعاً. «إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»^٣
و يحهم! «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْخَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ
يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^٤

التفسير

ترجيح «المرجوح» على «الراجح»

لا يستطيع أيُّ امرئٍ أن يقبل ترجيح «المرجوح» على «الراجح» ألا
مَنْ يُنْكَرُ «الاستقلال العقلي». أو بتعبيرٍ أوضح فأنَّ أي إنسانٍ لا يتردد

١. سورة الحج آية ١٣.

٢. سورة الكهف، آية ٥٠.

٣. سورة البقرة، آية ١٢.

٤. سورة يونس، آية ٣٥.

أبدأ في تقديم «شيء ذو مزايا عديدة» على «شيءٍ فاقِدٍ لجميعها».

فهل يا ترى سمعتم أن شخصاً عند انتخابه لمعلم ما، يقوم بترجيح الطالب على الاستاذ؟ أو عند معالجة مريض ما أن يفضل طبيباً عادياً قليل الخبرة على طبيب كبير عظيم الخبرة والتجربة؟ (دون أن تؤخذ خواص أخرى بنظر الاعتبار) عند انتخاب قائد معين، إذا تجاهلنا ذوي التجربة والتدبير والإدارة، واتجهنا صوب الجدد ذوي التجربة القليلة، عندها سيشك الجميع بصحة عقولنا و سلامتها.

حتى أولئك الذين لا يعتقدون بقبح هذه المسألة (ترجيح «المرجوح» على «الراجح»)، لا يتجاهلون هذا المبدأ في أداء أعمالهم أبداً، بل يعملون دائماً على ترجيح الأحسن. مثلاً عند شراءهم لفاكهة معينة، فهل يتركون الجيد منها و يبتاعون الرديء و غير الناضج منها؟ او عند اختيار صديق ما، فهل يفضلون الأشخاص الأشرار ذوي الصيت السيء على النزيبين و الأخيار؟ كما أن من المستحيل أن يفضل الإنسان الماء الآسن على الماء الزلال، و إن وُجد شخص، يفعل ذلك فلا ترديد في كونه ناقص العقل.

نعم، تعمي و تصمّ المنافع المادية أحياناً بصر و سمع الإنسان بشكل تُنسيه منافع الحقيقة، عندها يؤدي الإنسان عملاً يدفعه إلى تقديم «المتأخر» على «المتقدم». و قد اعتمد القرآن الكريم على هذا المعنى في تأنيبه للكفار و المشركين الذي لو تَوَّأ أنفسهم بهذا العلم القبيح المرفوض، حيث نقرأ:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^١.

تضيف السيدة الرشيدة و ابنة النبي الكريم ﷺ في هذا القسم (القسم

١. سورة يونس، آية ٣٥.

الثالث) من خطبتها الغراء المؤلمة مشيرةً إلى هذا المعنى:
يا معشر المهاجرين والأنصار! لم خذلتُم من كان له السبق في الإسلام،
و أول من بايع الرسول ﷺ من الرجال، و اتبعتُم من ليس له من هذا
الافتخار أي نصيب، (بل و سجد للأصنام حتى بعد بزوغ شمس الإسلام)؟
لم أبعدتم من هو «باب» لمدينة علم النبي ﷺ و الأقدر على التحكيم و
القضاء استناداً إلى حديث الرسول ﷺ المشهور «أفصاكم عليّ»، و سرتُم
خلف من لا يملك شيئاً من ذلك العلم و تلك المعرفة؟
لقد تجاوزتم بعملكم هذا القانون الصريح (بترجيح «الراجح» على
«المرجوح»)، و تناسيتم حكم القرآن في هذا الأمر (مضمون الآية التي
ذُكرت أعلاه)^١.

تعجب سيدة الإسلام ﷺ من هذا الأمر بشدة، و تصف الدنيا بـ «عالم
العجائب» الذي يعلم الإنسان في كل يوم ينقضي من عمره درساً جديداً.
تساءل بعدها عن الدليل الذي دفع هذه المجموعة التي يبدو عليها
العقل و التدبير إلى تغيير محور الخلافة، و اختيار الآخرين ليحلُّوا محل
علي بن أبي طالب عليه السلام؟ و لأيّ من الوثائق استندوا؟ و كيف تجاهلوا ميزات
علي عليه السلام الواضحة، و قدّموا المرجوح عليه؟! و تستعين في نهاية هذا القسم
بالآيات التي تتحدث عن مصير هؤلاء الناس:
«لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَ لَيْسَ الْعَشِيرُ»^٢.
«وَ بئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا»^٣.

١. الأعجب من كل ذلك قول ابن أبي الحديد في خطبة كتابه، حيث يقول، «الحمد لله الذي
قدّم المفضل على الفاضل»!!!
٢. سورة الحج، آية ١٣.
٣. سورة الكهف، آية ٥٠.

القسم الرابع

أما لعمرى لقد لقت، فنظرة ريشما تُنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دماً
عبيطاً و دُعافاً مبيداً «هنا لك يخسر المُبطلون» و يعرف التالون غبّ ما
أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً و اطمئنوا للفتنة جاشاً.
و أبشروا بسيف صارم، و سطوة معتد غاشم و هرج شامل، و استبداد
من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، و جمعكم حصيداً فيا حسرة لكم و أنى بكم
و قد عميت عليكم؟ أنلزمكموها و أنتم لها كارهون.

التفسير

الاختيار الخاطيء و ثمرته المشؤومة

يعتقد الكثير من الناس أن تناسيهم للوقائع يجعلها تنساها هي
الأخرى و لن تأخذهم بجلابيبهم.
هكذا يظنون، يمكن الحصول على ثمر جيّد من خلال زرع بذرة
فاسدة.

نعم لن يمض وقت طويل حتى تتهاوى ظنونهم كما يتهاوى البناء
الذي هزّ الدود أركانه، أو كما تزول الفقاعات من على سطح الماء، أو
كالطيف الذي يتلاشى باستيقاظ النائم، عندها يرى الصورة البشعة

المشؤومة للواقع الذي نتج عن اختياره الخاطيء، و سيتذوق مرارة الأحداث التي سيفرزها عمله الطائش.

نعم هذا هو قانون الوجود الذي سيحكم البشرية كما حكمها في جميع مراحلها التاريخية بكل قدرته، و هو أن يرى المخطيء نتيجة و عاقبة عمله، و يبدل طعم حياته الرائع في نفسه إلى حنظل، و أحلامه الجميلة إلى كابوسٍ موحش.

تركز سيدة الإسلام ﷺ في القسم الرابع من خطبتها على هذا المعنى، حيث تفصح عما سيواجهونه نتيجة عملهم المشؤوم:

سيحمل جمل الخلافة بعد انحراف مسيره سريعاً، و سيعانق الأرض منه مولودٌ عجيب الخلقة، عِوض من أن تشربوا حليبه السائغ الهنيء، سنأولون كؤو ساء مليئة بدم جديد، يملأ قدام قلوبكم! و سيصّب في فيكم السّم المميت بدل اللبن الخالص.

و بالتدريج سيأتي دور ظلام التاريخ و أبناء و أحفاد «أبوسفيان» و «الحجاج» و «الأشاعنة» و من هو أسوأ منهم، الذين سيُسَلِّطون سيوفهم على رقابكم و رقاب أبنائكم، و سيحصدون ثمار حياتكم بمنجلهم المميت.

سوف لن يكتفوا بسرقة أموالكم و سبي نسائكم، و إنما سيقيمون فيكم قتلاً جماعياً متكرراً، تتلّون على أثره الأرض بلون دمائكم، بما في ذلك أرض مسجد النبي الكريم ﷺ، نعم فسيعملون فيكم و في أبنائكم القتل في داخل المسجد الشريف ثاني الحرمين الأمنين حتى يطفح صحن المسجد بالدم، بل و سيهتكون حرمة بيت الله الحرام بقصفه بالحجارة بواسطة المنجنيق، و سيتلفوكم بسيوفهم في داخله و خارجه!

لقد خلّق بكم الخيال بعيداً، فظننتم أنّ أعداركم الواهية في تخليكم عن نصره الحق و الدفاع عن خليفة الرسول ﷺ سينجيكم من الجزاء الإلي بسهولة، و ستفرون عندها من عواقب أعمالكم السيئة، هيهات، فذلك تصوّر باطل! هيهات، فذلك خيال محال!

و اليوم... نعم في هذا اليوم و عند ما نتفحص صفحات التأريخ المنصرم ندرك أكثر من أي وقت حقيقة و واقعية حديث الزهراء عليها السلام ذو المحتوى القيم، فما أتعس العواقب التي حلت بالمسلمين نتيجة انحراف محور الخلافة عن مسارها الأصلي؟ و كيف أصبحت أرواحهم و أموالهم و أعراضهم، و الأكثر من ذلك قوانين و أحكام و مقدسات الإسلام لعبة بيد ورثة أحزاب الجاهلية؟!

لم يرحم أعوان بني أمية الكبير و لا الصغير.
لم يراعوا حرم رسول الله و لا احترام بيت الله «سبحانه و تعالى»
لم يكتنوا احتراماً للمهاجرين و كذا للأنصار.
فيوصي واحد من أبناء «آل سفيان» إلى من حوله:
تلقّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة فوّ الذي يحلف به أبوسفيان ما من جنة و لا نار.
فماذا أكثر من ذلك!

لذا يقول معاوية بن أبي سفيان أيضاً:
ما قاتلكم لتصلّوا ولا لتصوموا... بل قاتلتكم لأتأمّر عليكم.
و الأسوأ من ذلك تلك القصة التي ينقلها العالم المتعزلي المعروف «ابن أبي الحديد» في شرح نهج البلاغة حيث يقول.
«و قد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، و لم يقتصر على

تفسيقه، و قالوا عنه إنه كان ملحداً لا يعتقد النبوة، و نقلوا عنه في فلتات كلامه و سقطات ألفاظه ما يدل على ذلك.

و روى الزبير بن بكار في «الموفقيات» و هو غير متهم على معاوية، و لا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ عليه السلام، و الانحراف عنه: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، و كان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية و عقله، و يعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيته مغتماً فانتظرته ساعةً، و ظننت أنه لأمرٍ حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟

فقال: يا بُني، جئت من عند أكفر الناس و أخبثهم، قلت: و ما ذاك؟ قال: قلت له و قد خلوت به: إن قد بلغت سنّاً يا أميرالمومنين، فلو أظهرت عدلاً، و بسطت خيراً فإنك قد كبرت؛ ولو نظرت إلى إختوك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، و إنَّ ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه؛ فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكرٍ أرجو بقاءه!

ملك أخو تميم فعدل، (إشارة للخليفة الثاني) و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتي هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: أبوبكر: ثم ملك أخو عدي، فاجتهد و شهر عشر سنين؛ فما عدا أن هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: عمر، و إنَّ ابن أبي كبشة (إشارة إلى الرسول الكريم ﷺ) ليصاح به كل يوم خمس مرات: «أشهد أنَّ محمداً رسول الله»، فأئ عملٍ يبقى؟ و أي ذكرٍ يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفناً^١

و بعدها مباشرة يقوم يزيد حفيد أبو سفيان برفع الستار و نشر نعته المستهتره علناً حيث يقول:

١. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٢٩.

لَعِيتْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَيْرَ جَاءَ وَلَا وَحْيٍ نَزَلَ
و بهذا الشكل بان و تأكّد ذلك الكفر و الأجرام الذي نطق به أبوسفیان .
إن حالة السجون الأموية و التعذيب القاسي الذي سلّطه الأمويون
على سجنائهم لم يسود صفحات تأريخ الإسلام فحسب بل و حتّى تأريخ
البشرية، و هذا مصداق مقولة سيدة الإسلام عليها السلام .
نعم، فقد كانت حوادث المستقبل منعكسة بصورة جيدة في صفحات
قلبيها المشرقة، و طبقاً لما أخبرت عنه في هذه الخطبة، فسرعان ما هجم
المتسللون المتجاوزون على الناس بصوارمهم الحادة مستبدين في
الحكم مستهزئين بدين و روح و مال و ناموس الناس .
لقد ألقى الهرج و المرج ظلّه المشؤوم الثقيل على المجتمع
الإسلامي، و ذاق المسلمون مرارة ذلك التقصير و الوهن في حماية الحق .
و هذا جزاء أولئك الذين يتركون الحق و يتبعون الباطل .

القسم الخامس

قال سُويد بن غفلة، فأعادت النساء قولها عليه السلام على رجالهنَّ فجاء إليها قومٌ من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين و قالوا:
يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد، و نُحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره.
فقلت: إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، و لا أمر بعد تقصيركم.

التفسير

الأجوبة المريرة و المؤلمة

الأقبح من كل شيءٍ جواب طائفة من المهاجرين و الأنصار بعد سماعهم لرسالتها، حيث كان جوابهم مؤلماً جارحاً له وقع الخنجر على قلبها الطاهر.
كان للخطبة وقع مؤثر في نفوسهم، فأحسّوا بالخجل، و ربما فزعوا من الجزاء الإلهي في الدنيا و الآخرة، مما دعاهم ذلك إلى الإسراع في الإستجابة للتشرف بالحضور بين يدي بنت رسول الله ﷺ و عرض جوابهم الذي كان محتواه:
لِمَ لَمْ يَمْدَّ أبو الحسن علي ابن أبي طالب عليه السلام يده لتبايعه قبل أن يأخذ

الآخرون البيعة لأنفسهم، فنبارك مقدمه، و ندافع عن حكومته؟ نعمل على إطاعته، و نستجيب لأوامره من صميم قلوبنا و أرواحنا. و بوجوده لم نكن لنقدّم أحداً عليه لأنه أليق من غيره بهذا الأمر، و أقرب الناس لرسول الله ﷺ و دينه و فكره.

ولكن يا للأسف فقد فات الأوان! فبعد أن صافحنا أياديهم الممدودة للمبايعة، و طوّقنا رقابنا بعهد الطاعة، و بسبب تعزيز ذاك الارتباط في هذا الأمر فإنه قد أغلقت جميع الطرق بوجوهنا و لا سبيل للعودة! أمّا ليتهم لم يتذرّعوا بذلك العذر في محضر سيدة الإسلام عليها السلام الذي هو أشدّ قسوةً من فعلهم، جواب قبيح، و عذر مفتضح كاذب، كلام ألم قلبها الطاهر بشدة، و زاد من هموم روحها الجسيمة همّاً آخر.

ليتهم أقرّوا بذنبهم على الأقل، و ليتهم و عدوها بالرجوع في الفرصة المناسبة، و لم ينطق لسانهم بذلك العذر الواهي، بالإضافة إلى: أولاً: أنهم سمعوا من شخص رسول الله ﷺ و لعدة مرات أن الوصاية و الخلافة لن تكون إلا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، و هذا الأمر يغني عن البيعة له.

ثانياً: على فرض ضرورة البيعة، ألم يأخذ الرسول ﷺ منهم البيعة لعليّ عليه السلام في غدير خم، تلك الحادثة التي لم تكن لتخفى على أحد، فهي أحداث عاشوها و شاهدوها عن قرب أو سمعوا بها على الأقل. ثالثاً: على فرض أنهم لم يحضروا بيعة الغدير و لم يسمعوا حديث الرسول ﷺ في ذلك اليوم، فهل خفي على أحد منهم أفضلية عليّ عليه السلام على الآخرين؟!

لماذا لم يأتوه بعد وفاة النبي ﷺ و يمدّوا أيديهم مجددين له البيعة إن لزم الأمر؟

لم تكن الخلافة حقاً شخصياً مختصاً بأمير المؤمنين علي عليه السلام حتى يحتاج إلى أن يطالب بحقه، ولكن الخلافة حق عام متعلق بالمجتمع الإسلامي، لا بل بالإسلام ككل، لهذا نصّب الرسول ﷺ علياً في هذا المقام بأمر من الله «سبحانه و تعالي».

يُعدُّ قبول علي عليه السلام للخلافة و تأييد المسلمين له من الوظائف الإلهية الحتمية، و لا معنى للاستفسارات «لِمَ و لَأَنّ» و «إذا و كيف» و «كذا و هكذا».

رابعاً: لو افترضنا أنه كان علي عليه السلام أن يأخذ البيعة لنفسه و يخلف الرسول ﷺ في الناس، فهل يا ترى من اللائق أن يبقى جسد الرسول ﷺ الطاهر على الأرض دون تكفين و تدفين و الاهتمام بمسألة الخلافة و كرسيتها.

ما أحقر تلك المؤامرة، لِمَ أدبر جمعٌ منهم عن مراسم دفن الحبيب و أسرعوا في الحضور في مراسم تنصيب الخليفة؟ لماذا؟
خامساً: لو تغاضينا عن جميع ذلك، و لو أن شخصاً اختار لنفسه قائداً و من ثم عرف أنه أخطأ في اختياره، و أن طريق هذا سينتهي به إلى التهلكة، فهل عليه أن يستمر في طريقه ذاك و يسقط في تلك الهاوية لا لشيء سوى أنه بايع و وعد بالوفاء؟ أي منطق و قانون، و أي عقل يحكم بهذا؟

ملاحظة مهمة

تتبادر إلى الذهن مسألة مهمة بعد إختتام هذا الموضوع، هي أن الخطبة رغم أنها خصت بالذكر مسألة خلافة و ولاية علي عليه السلام، إلا أنها كانت

درساً مفيداً لكل المسلمين عبر مراحل التاريخ، و هو ألا يستخفّوا في الأمور التي تخص الحكومة الإسلامية، و لا يناصروا مَنْ هم ليسوا أهلاً لها، و لا يتعاملوا مع هذه المسألة تعاملًا سطحيًا، و لا يقدّموا المرجوح على الراجح في اختيار المتصدّين لأشغال المناصب الحسّاسة، و إن هم لم يُراعوا تلك النقاط فعليهم أن يترقّبوا نتيجة أعمالهم المشؤومة، و ليعلموا أنهم سيعيشون العواقب الوخيمة للحكومات الفاسدة المستبدة الطاغوتية.

بعدها ستذرف دموع الحسرة و الندامة نتيجة ذلك التقصير.

دموعٌ لا تُثمر إلا عن الحسرة و الندامة و الفضيحة.

« الفهرست »

المقدمة	٥
فاطمة عليها السلام منذ الولادة حتى رحيل النبي صلى الله عليه وآله	
الولادة الميمونة لفاطمة عليها السلام	١١
سر حب النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام	١٥
فاطمة أم أبيها	١٨
فاطمة عليها السلام زوجة أمير المؤمنين علي عليه السلام	٢٢
مهر فاطمة	٢٤
جهاز فاطمة عليها السلام	٢٦
مراسم الزفاف	٢٧
فاطمة عليها السلام بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله	٣٠

فضائل الزهراء عليها السلام

منزلة فاطمة عليها السلام	٣٥
سيدة نساء العالمين	٤٢
حوراء انسية	٤٦
فاطمة عليها السلام أحب الناس الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله	٤٩

٥٤	قرب فاطمة عليها السلام من الله
٥٧	زهد فاطمة عليها السلام
٦١	المكانة العلمية لفاطمة عليها السلام
٦٤	كرامات فاطمة عليها السلام
٦٦	أول من يرد الجنة
٦٨	معاني أسماء فاطمة عليها السلام

هدية الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام

٧٥	أحداث فذك المؤلمة
٧٥	فذك ؛ ماذا كانت و أين كانت ؟
٧٨	١ - العوامل السياسية في غصب فذك
٨١	٢ - فذك عبر العصور
٨٥	٣ - فذك و أئمة الهدى:
٨٨	٤ - محكمة تأريخية
٩٤	٥ - حدود فذك!
٩٦	استنتاج

الملحمة الكبيرة

١٠١	الخطبة التأريخية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام
١٠٥	أسانيد و وثائق الخطبة
١٠٨	المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام
١١٠	توحيد الله و صفاته و هدف التكوين
١١٤	منزلة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله السامية، خصائصه و أهدافه
١١٨	كتاب الله و فلسفة الأحكام

١٢٢	إعلان موقفها من النظام الحاكم
١٢٣	١ - بضعة النبي
١٢٤	٢ - الألم العميق
١٢٤	٣ - الجهود الشاقة للنبي ﷺ
١٢٤	٤ - الماضي المشين
١٢٥	٥ - خدمات علي عليه السلام
١٢٧	الردة بعد النبي ﷺ
١٢٨	١ - التآمر و الانحراف
١٢٨	٢ - تلبية البعض لدعوة الشيطان!
١٢٩	٣ - الاعتصام بالقرآن
١٢٩	٤ - إنذار أصحاب النبي ﷺ
١٣٠	قصة غصب فدك و حجج الغاصبين و تنفيذها
١٣٢	١ - إحياء المذهب الجاهلي
١٣٢	٢ - أدلة الخصم
١٣٣	٣ - فاطمة عليها السلام تقطع جميع الاعذار
١٣٤	٤ - هل أنتم أعلم بالقرآن أم أهل بيت الوحي ﷺ؟
١٣٥	٥ - التريث و التبرص
١٣٦	طلب نصرة الأنصار
١٣٨	١ - دور الأنصار الفاعل في تحقيق أهداف الإسلام
١٣٩	٢ - هجوم فاطمة الزهراء عليها السلام على الأنصار
١٣٩	٣ - موت النبي ﷺ لا يعني موت الإسلام
١٤٠	٤ - الصمت في مقابل تعطيل الأحكام الإسلامية؟
١٤١	٥ - الخلود إلى الدعة
١٤٢	٦ - النكوص عن النصرة

- ٧ - البشارة بالعذاب ١٤٢
- ٨ - امتداد إنذار النبي ﷺ ١٤٢

الخطبة الثانية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء ﷺ

- الخطبة المؤلمة في نساء المدينة ١٤٧
- مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء ﷺ ١٥١
- القسم الأول ١٥٣
- القسم الثاني ١٥٦
- المعايير و القيم الإلهية ١٥٧
- القسم الثالث ١٦٠
- ترجيح «المرجوح» على «الراجح» ١٦٠
- القسم الرابع ١٦٣
- الاختيار الخاطئ و ثمرته المشؤومة ١٦٣
- القسم الخامس ١٦٨
- الأجوبة المريرة و المؤلمة ١٦٨
- ملاحظة مهمة: ١٧٠
- الفهرست: ١٧٣